

روایات عبر



فیولیت وینسیر

# شهر عسل

[www.milazna.com](http://www.milazna.com)

مزموریه



# روايات عبر

## مير عيسل مر

الكبرياء قناع باسكانه ان يحجب الحب أو يحوله الى كراهية  
وصد ... ولعل اختلاف الطبائع والأطباع بين البشر يندفع أحياناً  
بعضهم الى التسكع بكبريائه حتى آخر لحظة ، وفوضى  
الانكليزية التي تزوجت اليوناني بول لم تقل يوماً واقعها ،  
وبرغم الحياة القريفة التي أعطيت لها على طبق من ذهب ،  
بقيت وشائج قلبها متعلقة بشاطئ بلدها ... وبذلك الرسام  
الشاب الذي خطف لها بحديثه وطرحه ، وركض معها على  
الرمال الرطبة ... وتغلبه في الجزيرة اليونانية بعد سنوات ...  
فهل تهرب معه كما يريدان ان تفعل ، أم تبقى وفيه لذلك النمر  
اليوناني بول ستيفانوس ؟

ليسان ؟ ٤٤	الكويت ٧٠	البحرين ٨	السودان ٧٠
سورية ٨	الإمارات ٩	تونس ١	غواتيمالا ١٠
الأردن ٥٥	البحرين ٩	البحرين ٧٠	جيبوتي ١
البحرين ٥٥	قطر ٩	البحرين ٨	اليونان ٧٠

## ١ - الجمر من جليد

كان ثوب زفافها من الحرير اليوناني الجميل، وكان شعرها متوجاً بإكليل فضي رقيق، تتدلى منه طرحة ذات تيل مطرزة بقلوب صغيرة. وعندما ظهرت دومني متأبطة ذراع عريسها، لم يخطر لأحد أنها تزوجته خوفاً وليس حباً.

ورحل العروسان بعد ساعة متجهين إلى الساحل، واستقلا سيارة أجرة إلى الفيلا الواقعة على التلّ في الصغير، التي استأجرها بول ستيغافانوس لقضاء أسبوع، قبل أن يطيرا إلى أثينا. كان يتمنى دائماً أن يشاهد الساحل الغربي، وأخبر عروسه دومني بذلك وما هي القرصة قد حانت.

وكان خادم بول اليوناني، وزوجته ليتا، قد سبقا العروسين إلى الفيلا، وأعدا كل شيء لاستقبالهما. كان يومها ساخراً دافئاً من أيام الربيع لكن عند غروب الشمس هبت نسمة من البحر، وأشعل الخادم ياتيس نار المدفأة في غرفة الجلوس.

وشعرت دومني بالدفع لأول مرة في ذلك اليوم عند دخولها غرفة الجلوس. وخلع بول معطفه، وتقدم نحو الطاولة، حيث كانت راجاتان ذهبيتا الغطاء في انتظارهما ليشربا نخب العرس.

وقال بول بصوته العميق ذي اللمعة الأجنبية وباللهجة



يشع فيها المرح والرضا:

"رائع - لقد تذكر يا بنيس طلبي".

وتكومت دومني بجانب المدفأة تدفئ يديها، وتهدلت خصلات شعرها العسلي فوق وجهها، فأخفت نظرة القزع التي قفزت إلى عينيها عندما رأت بول يعد المشروب الذي أحبت أنه سيكون بجانبها السم.

وقال بول وهو يعاونها على النهوض:

"دعيني أساعدك في خلع معطفك".

وكانت أمابعه ماهرة في فك أزرار معطفها ونزعه من فوق كتفها. ودفعت هي يديها خلال شعرها، بينما كان يتأملها بعينين لاهيتين. ثم قال:

"غالبية النساء يشغلن عادة تمشيط الشعر وإعادة الزينة بعد هذه الرحلة الطويلة في القطار. بدأت أظن أنك أما أن تكوني غير مفرورة بنفسك على الإطلاق - وأما أنك القروور بعينه في تظاهرك بعدم العبالة بحقيقة جمالك".

ولم تعر كلامه أدنا صاغية، وواجهته في تماسك سرعان ما أخذ يتلاشى، وشعرت بالبرودة تسري في أعماقها، بينما كان عقلها يجري في كل اتجاه هربا من فكرة كونها بالفعل هنا... في كورنوال ومتزوجة من هذا الرجل.

ولم تستطع أن تلوذ بالكتمان طويلا، فخرجت الكلمات منها عنوة. قالت:

"بول، هل ستمضي حقا في هذا... هذا الزواج الذي أرغمكني عليه؟"

وبغثور، وبطء، أخرج علبه سكاثر وقدمها إليها، ورغبت بهزة من رأسها، وأشعل هو سيكارة قائلا:

"أعطيتك الخيار يا عزيزتي".

وتفث دخان سيكارته واستطرد قائلا:

"أنا لم أر عمك على الزواج بغومة بتدقية".

الخيار؟ ارتجفت دومني من الكلمة. هل يعتقد ذلك حقا؟ واحتلات عينها الزرقاوان بالخوف والخيرة وهي تتطلع إلى وجهه. واستقرتا أخيرا على الندبة الغائرة فوق عينه اليمنى. الندبة كانت الشيء الوحيد الذي يضفي عليه صفة الانسانية. وقالت:

"أنا، أنا لا أصدق أنك مصنوع من الحجر لكنك تتصرف كما لو كنت كذلك. كما لو كان لا يعينك على الإطلاق أنك اعتديت على حياتي، وانزعمتني من كل ما أحب، فقط لأكون لعينك. هل تعتقد أنني أستطيع أن أغفر لك ذلك، أو أن أحبك فعلا؟" وتشاغل بول بتقليب فحم المدفأة بفرع شجرة، وارتسمت ابتسامة غامضة في عينيه وهو يقول:

"أنا مدرك تماما حقيقة نظرتك الي، لكنها تهامة عاطفية أن أكون محبوبا. وليس عندي وقت لأبدده في التفاهات. لدي تواحي ضعف قليلة يا دومني، واحدة منها هي حب الأشياء النادرة. وأنت مخلوقة نادرة جدا، أنت جميلة، ولكن غامضة يمكنك أن تخفي أي شيء، باردا كان أم مشتعلا".

وسحب نفسا عميقا من سيكارته، وقال ببطء:

"أردتك، منذ أول لحظة تقابلنا فيها في فردان".

واستطاع أن يأسر نظراتها، وأن يرغمها على الانصات إليه. واستطرد قائلا:

"في ذلك اليوم الذي اكتشفت فيه تزوير ابن عمك، ذهبت إلى فردان في حالة غضب شديد، وكنت مصمما على أخبار عمك بما فعله ابنه الشقي. وكنت هناك. كنت لا تزالين في المدرسة الداخلية آخر مرة كنت فيها في انكلترا قبل ذلك، ولكن في ذلك اليوم بالذات كنت قادمة لتوك من نزهة. كان فمك ورديا. وعيناك شديدي الزرقة. ومنذ تلك اللحظة أصبح تورط ابن عمك سلاحا في يدي".

وتأملها... ثم استأنف قائلا:



"انك تجفلين يا دومني. ولكنني كنت أمل ألا استعمل هذا السلاح. كنت أمل أنك قد... في أي حال أصبح واضحاً أخيراً أنك تنظرين إلي فقط على أنني اليوناني الجاف الذي يعمل عنده ابن عمك كمساعد مدير في أحد مكاتب خطوط ستيفانوس للملاحة البحرية".

وعاد إلى السكوت، وبينما اهتزت أعصاب دومني. وارتفع صوته من جديد يقول:  
"أردتك... وبأي ثمن؟"

وارتعدت، كارهة صراخه القاسية، لكنها مدركة أيضاً أنه لو تحدث عن حبه لها، لكانت احتقرته. وطاقات بنظراتها حوله كما فعلت أول يوم قابلته في فردان، عندما حذرتها غريزتها أنه خطر يهددها بوجهه الوثني، وبعينيه الذهبيتين اللتين تشبهان عيني النمر، وبشعره الداكن القصير المجمع، الشبيه بصوف الغنم.

وتباعدت عنه إذ كان يشع قوة وخطورة، وقالت بصوت مضطرب كانت تحاول أن تحتفظ بسيطرتها عليه:  
"لا أعتقد أنني يمكن أن أستمع في هذا الزواج يا بول... أرغممني على موقف قاس، غير متحضر، وأنت لا تحمل لي ذرة من الصناعر".

قال:  
"كبيراًؤك هو الذي أرغمك على اختياري، مفضلة ذلك على رؤية اسم اسرتك في محاكم الجنايات".

وسكت برهة، ثم قال:  
"ولماذا أرثي لك، وأنا الذي يجب أن يعجب بك لأنك واحدة من اللواتي يؤثرون العذاب على رؤية من يحبهم في الوحل؟" وألقى ببقايا سيكارتته في النار، وتقدم منها. ومن جديد تباعدت عنه، لكنه أمسك بها وهمس:  
"تعالني... أنا لست وحشاً".

وذعرت عندما لمحت بريق عينيه الذهبي من خلال أهدايه السوداء الكثيفة. وعاد يهمس:

"استطيع أن أكون لطيفاً خاصة مع شيء جميل مثلك، أنت جميلة للغاية، وكذلك كبيراً... أنك جليد مشتعل". وسأل ساخراً:

"يا ملاكي الصغير... هل توقفت عن الابتسام إلى الأبد؟ هل ستنظرين إلي دائماً بهاتين العينين العابتين؟"

فجالت:  
"وماذا توقعت؟ عيتين مليكتين بالحنان؟"  
وبدا عليها أنها على وشك البكاء وقال:  
"لا أسالك أن تحبيني يا دومني، ولكن لا تكرهيني...".

خرجت الكلمات عنيفة من فمها وأحست بالنفور من قربها. من لمسة يديه. بل ومن النفور لأدراكها أن وجهه كان أجمل وجه رأتها، رغم الندبة التي تعلو عينه اليمنى. نعم كان وسيماً، وقاسياً.

وانطلق يمسح جبينها، إذ دخل في تلك اللحظة يانيس بصينية الشاي، والتي وضعها فوق المنضدة. وجلست دومني تسكب الشاي، ولا شيء في وجهها له لون سوى عينيها وفمها.

وكان بول استأجر الفيلا مفروشة، وفي نظرة إلى المكان تبينت أنه لا شك دفع أيجارا مرتفعاً. نقوده كانت تخفيها، حولته إلى رجل لا يعرف، أو لا يهتم، بأن هناك أشياء لا يستطيع أن يشتريها أبداً. مثل الحب والشرف اللذين يجبرها الزواج على منحهما أياً.

وقال بول لخادمة:  
"أنا مسرور لتذكرك مشروبي يا يانيس. سنشربه طبعاً مع عشاء عرسنا".



ورفعت دومني بصرها ، ورأت وجه الرجل اليوناني يفتر عن  
ابتسامة خفيفة . كان قليل الكلام ، شديد الولاء لسيده . وبعدما  
أكد لسيده الجديدة الشابة أن عشاء العرس سيكون جاهزا  
بعد ساعة ، انسحب بهدوء من الغرفة .

وناولت دومني فنجانها . وارتشف رشفة ، ثم قال ضاحكا :  
" اني أخشاك اذا كنت سأعتمد الشاي الانكليزي " .

سألت بهرود :

" ولماذا لم تطلب قهوة ؟ "

وجلس على ذراع المقعد قائلا :

" أعرف أنك تفضلين الشاي يا عزيزتي " .

وقاومت نفسها حتى لا تتحرك بعيدا عنه . وأعاد الشاي  
الساخن بعض الحياة الى جسمها البارد ، لكنها لم تشعر  
بالامتنان لبول اذ أوجت لنفسها بأن عليها أن تكره الاشياء  
التي يمنحها اياها ، مثل الثوب الأبيض وطريحة الزفاف ، التي  
أرسلت اليها في انكلترا بأمره من وطنه جزيرة أنديلوس .  
وبدون أن تنظر اليه سألته :

" هل احرققت الشيكات المزورة كما وعدت ؟ "

" ليس بعد " .

وعندما نظرت اليه بسرعة ، ابتسم قائلا :

" ربما استقرت في رأسك الجميل فكرة الهرب مني ، لذلك  
فالشيكات المزورة ستبقى ، حتى الغد " .

واحتقن وجهها ألما ، عندما فهمت ما يقصد . وقالت :

" هل تعد يا حراقها غدا ؟ "

قال مطمئنا :

" سأحرقها في وجودك " .

بعد دقائق صعدا الى الطابق العلوي ليرتديا ملابس العشاء  
- وكان جناهما الأبيض مزينا بالورود المختلفة ، وكان ملحقا  
بكل غرفة نوم حمام خاص - وتاخرت دومني في أخذ حمامها ،

حتى سمعت الباب المشترك يغلَق ، وتأكدت أن بول استحم ،  
وارتدى ثيابه ، ونزل . وحينئذ لفت نفسها في منشقة كبيرة  
بيضاء ، وخرجت من الحمام الى غرفة نومها . وعندما اقتربت  
من مائدة الزينة ، وقع بصرها على علبة مجوهرات لم تكن  
موجودة عندما دخلت الحمام . وحدقت فيها كما لو كانت شيئا  
يمكن أن ينقص عليها ويفتك بها . لابد أن بول هو الذي  
أحضرها . وفكرت أن تنقلها الى غرفته بدون أن تفتحها .  
لكنها متأكدة أنه سيرغمها على أن ترتديها في العلبة .

وقلحت العلبة ، ووجدت داخل بطانتها الحريري مشبكا من  
اللؤلؤ على شكل قلب تحيط به قلوب ياقوت كدموع من دم  
متفجرة ومعه قرط مشابه له .

وحدقت دومني في المجوهرات التي سحرتها بجمالها ، ثم  
شعرت كأنها تسخر منها . نزعتم المشبك ، ورمته وهزتها دموع  
الغضب ، واستلقت فوق سريرها تبكي بدموع ساخنة ، كما لم  
يحدث من قبل في حياتها .

كانت سيده نفسها . ابنة الأخ المحبوبة لمارتن دان الذي  
عاملها دائما كابنة منذ جاءت اليه طفلة ، بعدما لحرق والداها .  
ثم ... وسط فيضان دموعها ... جلست ، ورفعت خصلات

شعرها عن وجنتيها المبللتين وحدقت بقلب واجف في الباب  
المشترك . قال بول انه سينخلص من هذه الشيكات في الغد ،  
اذن فهي موجودة في الفيلا . في غرفته . وقطرت من سريرها ،  
ونسيت دموعها وهي تقترب من الباب . اذا عثرت على  
الشيكات فستعدها بنفسها ، وستنحدر من بول ستيفانوس .

وارداد خفقان قلبها للفكرة . ثم ان الفيلا قريبة من مدينة  
نوو وستستطيع بكل تأكيد ان تجد غرفة تقضي فيها ليلتها .

وأدارت مقبض حجرة بول وأضاءت النور . كانت هناك  
زجاجات عطر رجائي على مائدة الزينة ، كما كانت بيجامته  
السوداء الحريري ملقاة فوق السرير ، ورائحة دخان سيكاره



ما زالت تعبق جو الحجرة . وتملكها الرعب لكنها سرعان ما تغلبت على اضطرابها واقتربت من الدولاب المحتمل ان يحتوي حقيبتها .

ودق قلبها بعنف ، فلم تجرؤ على الحلم بوجود طريقة للهروب من بول واسترداد حريتها التي كانت تعتز بها كثيرا . صحيح أنها منذ أربع سنوات ، عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها ، كانت على وشك الوقوع في الحب مع فتان شاب ، كان يعمل بالقرب من مدرستها الداخلية . ولكنها كانت قصة حب بريئة ومرحة . وخرج باري من حياتها كما دخلها . ولم تسمع عنه منذ ذلك الحين .

وفتحت دولاب بول ، وفقرت بعصية عندما أطلت عليها صورتها المنعكسة على المرأة الداخلية . أخافتها نظرات عينيها المشتعلة ، فالصقت باب الدولاب بالحائط حتى لا ترى نفسها . ولمس كم ستره من التويد وجنتها وهي تنحنى ، فازاحتها عنها كما لو كانت ذراعا تحاول الإمساك بها .

في الطابق السفلي وقف بول أمام إحدى التوافذ متكئا بكتفه على إطارها ومنتجها ببصره إلى شاطئ البحر القريب من سلام الفيلا . وفي الخارج اشتدت الرياح ، وأخذت الأمواج ذات الزبد الأبيض تتكسر على الصخور ، يضيئها نور القمر المتسلل من بين السحب ، وصار صوت البحر كرمع يخرق الجدران ، فوضع بول يده على صدغه الأيمن ، وكأنه يسمع صداه في أذنه .

وجاء يانيس إلى الحجرة قائلا :

"معذرة يا سيدي ، مكالمة خارجية للسيدة ."

واستدار بول ، وخرج من دائرة الظل بجوار النافذة ، وقال وقد ظهرت الدهشة على وجهه :

"مكالمة لزوجتي ؟ حسنا سأرد عليها يانيس ."

وخرج إلى المصالة ، ورفع سماعة الهاتف وذكر اسمه ،

وفي الحال وصل إلى أذنيه صوت "مارتن دان" عبر الأسلاك ، وكان مختفيا بالانفعال :

"بول ... يجب أن أتحدث مع دومني حالا ... من فضلك دعها تكلمني فالامر هام للغاية ."

وتقلصت يد بول فوق سماعة الهاتف وهو يسأل :

"ماذا حدث ؟"

"ابني دوغلاس أخبرني عن النقود التي أخذها منك . تلك الشيكات التي زورها باسمك ."

وساد صمت . كما لو كان مارتن دان لا يكاد يصدق أن ابنه فعل ذلك واستطرد قائلا :

"بول ... ابني شعر بأنه يجب أن يخبرني ... من أجل دومني ... انه يعتقد أنها تزوجتك ، باعت نفسها في الواقع ، لتقذ كبرها من التمس ."

"باعت نفسها لي ؟ يا لها من فكرة عقيمة يا سيد دان ! انها ترجع إلى القرون الوسطى ."

"أنا أعرف دومني ، وما الذي يمكن أن تفعله من أجل من تحب ... وأعرف أيضا أن ابنة أخي لا تستطيع أبدا أن تحبك باستيفانوس ، انك لست من يواحقها لانك من عالم آخر . أمازلت تنصت الي ؟ اذن فانا ألح في التحدث الآن مع دومني ."

ووقف بول صامتا ، وقد تجهم وجهه وبرقت عيناه الذهبيتان ، ثم قال :

"أعرف أنني من بلاد أخرى يا سيد دان ، واني أتكلم الانكليزية بلكنة غريبة ، ولكن شيئا من ذلك لا يغير حقيقة أن السيدة ابنة أخيك هي الآن زوجتي ."

صاح مارتن دان بثقة :

"الزواج يمكن إبطاله ."

سأل بول بلهجة مهذبة :



• على أي أساس؟

• عدم المعاشرة، هذا هو القانون.

• ربما يكون ذلك هو القانون، ولكن الحقيقة أيضا ياسيد دان، أنني ودومني انفردنا هنا لعدة ساعات. انها جذابة جدا ياسيدي. وأنا لست انكليزيا رقيقا.

واشتد الصمت على الطرف الآخر، وارتسمت ابتسامة خافتة على وجه بول - كان مارتن دان رجلا انكليزيا مهذبا للغاية ملتزما في حياته بمجموعة من العبادىء وبصوته الانكليزي الجاف المعزق قال:

• ستيفانوس دع دومني تمضي، انك لا تحبها، انك تريد امرأة تكون رمزا لنجاحك في تلك الغاية من العالم، المال والتألق، لا شيء من ذلك يهم دومني.

• ولكن أن يكون في استطاعتها ان ترفع رأسها، وأن تواجه الناس، أمر هام بالنسبة اليها ياسيد دان. وهل يستطيع واحد منكم أن يفعل ذلك، اذا وضعت دوغلاس في السجن؟

وهل يمكنك أن ترفع رأسك، وانت تعلم طول الوقت أنك أرغمت دومني على أن تصبح زوجتك؟ لابد انها تكرهك.

• انا رجل محريب. أفضل أن أتزوج امرأة تكرهني بشرف، على أخرى تحبني بدون شرف.

وبعد أن نطق بول بهذه الكلمات، وضع الساعة ليقطع الاتصال، ثم رفعها مرة أخرى وأسندها الى المنضدة، وعبر الصالة الصغيرة متجها الى صالة الطعام حيث كان يانيس يضع اللمسات الأخيرة للمائدة، وأخبره أنه رفع الساعة، وأنه يريد ان تظل في مكانها. ولم يناقش يانيس الأمر. إذ كان بول السيد في بيته، حسب التقاليد اليونانية.

وقال بول وهو يداعب بأصابعه الورود الحمراء في الزهرية بين مكانه ومكان دومني، والشموع الكهربائية المعدة للاضاءة.

• المائدة تبدو رائعة.

• سيكون العشاء جاهزا بعد عشر دقائق ياسيدي.

• إذن فمن الأفضل أن أذهب لأخبر زوجتي. يا للوقت الذي تستغرقه النساء في ارتداء ملابسهن!

وابتسم يانيس، وراقب بول بعينيه الداكنتين وهو يخرج من الغرفة. ثم أمس بدوره الورود. وزهر زهرة شديدة حركت لهيب الشموع التي أضاءها.

وصعد بول السلالم، واتجه الى باب غرفة دومني. ولم يتلق ردا على طرقة، فأدار المقبض ودخل، واتجه بصره في الحال الى الباب المشترك الذي كان مفتوحا على مصراعيه، ودخل بدون أن تسمع له وقع أقدام بفضل السجادة السمكية، وفاجأ دومني متسائلا:

• ماذا تفعلين؟

كان كل شيء مبعثرا؛ قمصانه، وملابسه الداخلية، وأوراقه والأدراج مفتوحة، ومحتوياتها ملقاة في كل جانب.

وسقطت الأوراق التي كانت دومني ممسكة بها، إذ استدارت لتتخاضى مواجهة بول. ثم وقف كل منهما يحملي في الآخر وأخيرا تقدم منها، وامسك بكتفيها. وقال:

• نعم تبحثين؟ عن تلك الشيكات التي زورها ابن عمك؟ يا جميلتي البلهاء. هل تظنين أنني من الحماقة احتفظ بها هنا، حيث يمكن أن تضعي يديك عليها؟ انها مودعة في أمان في أحد بنوك لوفو.



"سأعيد ترتيب كل شيء".  
"بل سترتدين الآن ثيابك".

وسمعه يطلق ضحكة هادئة وهو يتركها تقف على قدميها ويقول:

"دومني... لا تحاولي الهرب مني أبداً سوف أمسك بك دائماً، وسأحتفظ بك طالما أن ذلك يسرني".  
وأحبست بالتهديد يسري من أطراف أصابعه الممسكة بها إلى أعماق أعماقها، ثم انصرف إلى حجرته، وأغلق الباب خلفه بهدوء.

ذهب ليعد ترتيب أوراقه وحاجياته التي ألقته على الأرض لكن بعدما نجح في أن يتسمرها بالخجل من تصرفها، فأضاف بذلك وقوداً إلى النار التي كانت تحس بها وهي تبدأ في ارتداداً ملائمتها.

واختارت الثوب الأزرق المغطى بالاورعائز البيضاء، وكان هدية من صديقة تدبر محل أزياء في الوسط اند في لندن. كان طرازاً رائعاً، وكانت دومني تعرف أن الخوف من بول هو الذي دفعها إلى اختياره لعشاء العرس معه. أن يعثرها لمرته أغضبه بشدة، وشعرت أنها بظهورها في هذا الثوب الذي كان يمتزج فيه الأزرق مع الأبيض، تستطيع أن تحمي نفسها من هذا الغضب الذي يجعل منه عاشقاً مرعباً.

وكان القوط المحلي باللؤلؤ والياقوت ما زال في العلبة على مائدة الزينة، لكنها عندما عثرت على المشبك بجانب ركن السرير، اكتشفت أنها لا تستطيع ارتدائه هذه الليلة بالذات، وارتدت بدلاً منه العقد اللؤلؤي الذي ظهرت به مع ثوب الزفاف والذي كان ملكاً لأمها، وشعرت بشيء من الراحة والشجاعة أيضاً.

واختارت عطراً فرنسياً. ثم تأملت نفسها في المرآة طويلاً. رأت عيني جرينتين لامرأة تزوجت، لتنفذ كبرياء أسرتها،

## ٢ - أي حب؟

بهذه الكلمات أطفأ بول بريق الأمل في قلب دومني التي وقفت في مواجهته بدون أن تحس الغضب في صفوف يديه فوق كتفيها. كان يجب أن تدرك أنه ما كان ليترك أمامها منفذا للهروب - لقد دفع فيها تمناً غالياً ولم ينل بعد المقابل. ووقفت بدون حراك، بينما أخذ هو ينقل بصره بتأمل الدموع التي انسابت على وجنتيها الشاحبتين، وشعرها العسلي الفزير الذي تجعدت أطرافه بتأثير الحمام، وتهدلت خصلاته فوق كتفيها العاريتين، فبدأ في انسجام أسر مع البشرة البيضاء الصافية.

ولاحظت دومني رجفة على ركن فم بول. ثم أسحلت جفنيها وهو يرفعها بقوة، ويدخلها إلى غرفتها ولم يتركها في الحال، بل وقف يتأملها ثم همس:

"إن نظرة البساطة يمكن أن تخفي متاهات معقدة".  
وعاد يتفحصها، ثم قال:

"لأبد أنك تكرهيني للغاية يا صغيرتي حتى تثيري غضبي بمعرفة حياتي في أرجاء الحجرة، أنك تستحقين صفعة على ذلك".



لن تحظى في هذا الزواج بالتقارب والتفاهم. لن تستمتع  
ببهجة أو بمودة.

وباعصاب مرتجفة كجذور متزوجة من أرضها غادرت لغرفتها  
في طريقها الى عشاء عرس كثيب، ولمحها بول عندما ظهرت  
على قمة السلم. وألقت نحوه نظرة جانبية لتعرف هل ما زال  
حائقا عليها. وطمانتها ابتسامته التي سخرت من مخاوفها.  
وصعد إليها. وشعرت بخفقة في قلبها وهو يقول لها:

"تبددين كملاك في هذا الثوب... وأشعر أنك ستلاشين فجأة  
وراء سحابة، وتتركيني وحدي".

ورمقته بفضول وهما يدخلان حجرة الطعام. ولأول مرة  
تساءلت إذا كان تزوجها رغبة في رفقتها وليس لجمالها  
فحسب.

وفي بدلة السهرة. كان خلاها أكثر من أي وقت مضى.  
شعرت به عملاقا المريشيا في قببصه الحريري وسترته  
السوداء. ولم تكن هي شيلة لكن طوله الفارع جعلها تعاني  
ذلك الإحساس.

وفجأة داهمها الشعور بأنه يقاسي الوحدة. أنه غني،  
ووسيم، وجذاب الى حد الروعة. لكن هذا الرجل كان وحيدا  
وغامضا. وهي أصبحت زوجته!

ولم تكن دومني ذاق طعنا طوال اليوم، وشعرت فجأة  
بالجوع ويانيس يضع أمامها طبقا من المcharats الشهية.  
وهمست:

"بيدو لذيذا".

ومنحت يانيس ابتسامتها الحلوة. ابتسامه لم تمنحها الى  
بول قط، الذي لم تتبه الى أنه كان ينظر إليها وهو يفتح  
الزجاجة. وقرقع غطاء الزجاجة، وفار السائل الذهبي،  
وانسكب على جوانب الزجاجة، وغمس بول أصبعه ومسح بها  
خلف أذن دومني، وقال هازحا في شيء من السخرية وهو

يملا كأسها:

"هذا يجلب لك الحظ يا دومني".

وجلس أمامها، وملا كأسه هو الآخر، ثم رفعها مرددا تحبا  
باليونانية. فسألته دومني دون أن ترفع رأسها عن الطعام:

"هل يمكن أن أعرف معنى ما قلت؟"

"قلت ان في كل كعكة رواج، الأمل هو أحلى ثمرة".

وحينئذ رفعت بصرها، ولمحت ضوء الشموع يسكب ظلاله على  
صدغيه وجبهته ذات الندبة. وسمعه يقول:

"مما يدعو للأسف أن أحدا لم يعرف الآخر بما فيه الكفاية،  
فلو كانت الفرصة أتحت لنا للرقص والنزهة لساعدك ذلك على  
أن تكوني أقل خجلا معي. لكن لا حيلة لنا في الأمر. كانت  
لدي أعمال هامة هنا في انكلترا استغرقت معظم وقتي. وهذه  
الأعمال هي التي أنت بي على غير ما توقعت".

وشعرت برجة تسري في كيانها، لأن وصوله غير المتوقع  
الى انكلترا كان أول خيط في نسيج "الورطة" التي تعيش  
الآن دوامتها. فلم يكن هناك وقت لدى دوغلاس ليفطي  
خسائر المقامرة وليرد المبلغ الضخم الذي اختلسه من الشركة.  
وعجزت هي عن أن ترى ابن عمها الضعيف الجذاب، محكوما  
عليه بالسجن لدماعته... تمننت فقط أن يستوعب الدرس...  
ولو على حسابها!

وانتهيا من تناول الطعام، وأقبلت زوجة يانيس تقدم  
القهوة. كانت سمراء متحفظة، تجري في عروقها الدماء  
الرومانية. وقدمت لدومني هدية صغيرة، فرحت بها، حتى  
أنها نسيت برهة أنها ليست عروسا عن حب - كما كانت ليتا  
وزوجها يظنان - وكانت الهدية عبارة عن سلة صغيرة من  
المعدن والزجاج مليئة بالتفاح المسكر.

وابتسمت دومني قائلة:

"أنا جميلة للغاية وغير عادية كم هو لطيف منكما!"



ووقف بيت لحظة تتألم وجه دومني الجليل، ثم قالت  
"التكن السعادة دائماً من نصيبك، ويباركك الله  
ولمعدك"...

وبطقت كلمة باسبوسامية، وساد الغرفة صمت بعدما انسحب  
بيب وأغلق خلفها الباب، وحينئذ لم تستطع دومني أن ترفع  
عينها عن وجه بول، وتلاشى الاشتياق من وجهها فجاء،  
واحتلات عيناه بنظرات القلق وهي تسأل هامة عن دعوى  
الكلمة اليونانية التي نطقت بها ليتا...

ورد بول في هدؤ قائلاً

"دعني طفلاً... صبياً"...

وتحركات الدبة فوق عينه عندما لمح الخوف في نظراتها،  
واصبحت هي بسرعة فوق صينية القهوة، وملأت القندين  
الصغيرين، بالقهوة التركية، وعندما ماوت بول عجاذه كان  
وجهها مقلعاً بالجمود.

وشرباً عدة فاجين، ثم نهضت دومني، وأخذت تتطلع بقلق  
لى محتويات الحجرة من لوحات قديمة وقطع أثربة. وأخيراً  
وقفت أمام المسترة الكبيرة التي تعطي اسافدة. وهجاء تحلى  
عنها الهدؤ ادي لقرمته أثناء تناول العشاء، وأخذ معه  
اهتمامها بحريرة أندينوس. سي تحدث عنها بول. مهرها  
بعض الشيء وصفه جمال الجريرة، وكلامه عن بيته القائم  
فوق ربوة عالية مظلة على شاطئ خاص، كان السكان  
يسمونهم "بيت صخرة اليسر".

وهجاء قالت بصوت مختلج

"دعني أذهب يا بول، دعني أذهب لو كان لك قلب، أنت تعرف  
أسي لا أحبك".

وهي تقطعت أنفاسها، واحتبس صوتها، وأمسكت الستارة  
بيدها كأنها تحتلمى بها. وبينما كان بول ينهض من مقعده  
ويعبّر الغرفة في اتجاهها، تأملتة، رأت فيه قوة

المر وسيطرته اذ يمكنه ان يسحق كافة العقبات التي تعترض  
طريقه الى ما يريد.

وسأل

"وما هو المقروض أن أفعله إذا تركتك بدهسين؟ هل تتوقعين  
مسي أن أحرق هذه لتيكاب في مثل هذه الحالة، وأخرج خالي  
الوفاص، أو أكتفي بالرماد؟"

"وما الذي يمكن أن يحققه لك رواجاء، لا شيء أيضاً سوى  
دراب رماد".

وكان اليأس يطل من عينيها وهي تتكلم، وهو أممها  
بوجهه الوسيم وكل قسمة سطو بقوة وبالعناد. وعادت  
مهل

"إذا أرعمتني على الحياة معك يا بول... سأكرهك".

وأطلق ضحكة غامعة وقال:

"لكراهية والحب متشابهان يا أسيرتي... كلاهما عذوبة  
عجباء".

"لا يوجد حب ينفذ... ولن يكون أبداً".

وبرقت عينها تؤكدان المعنى. وتقدم منها قائلاً:

"أه... ولكنك تتكلمين عن الحب الرومانسي".

وقرب وامسك وجهها بين يديه المدفنتين، وأخذ يبحث  
في أعوار عينيها وهو يقول.

"يمكنك أن تجدي لذي ي حب. لا ذلك النوع ادي تقرأين عنه  
في الكتب".

وأردأد خفقات قلبها وهو يتكلم. وفكرت هي باري الذي  
أسعد قلبها وجعلها تتساءل عن الحب وأسراره...

وعند بول نهض.

"هل أخبرك رجل من قبل أن لك عييين رائعتين، أشبه  
بالسما الصافية".

وأحس رأسه وقيل

"يجب أن تفهمي يا دومي أنني عندما أعدد صفحة أحرق كل  
بحرص على الوفاء بالنقصاني، وأحرص أيضا على أن يفهم  
الجناب الآخر بالترامانه".

همست مصدوعة

"ذلك في العمل، ولكن هذه حياتنا، سعادتنا، هل أنت  
متشائم سي حد يجعلك لا تؤمن بالسعادة؟ هل أنت جامد،  
حتى أن شيئا لا يؤذيك؟"

"لا يمكن أن يؤذيني ما يظنه الآخرون عني أنا يوناني، ولا  
يهودي، لا ما اعتده أنا في نفسي. عندما صغرة يا دومي،  
هد الصباح. أنت روجتي، ونس أدعك تدمين".

وأهست أنه يعني كل كلمة بطق بها، كان ذلك مسطورا على  
صفحة وجهه، الوجه الجميل، الفاسي، تنبعت من عينيه  
شعاعات تطارد، وتحيف، وهجاء خلصت من دراعيه،  
وقفرت من الشرفة الكبيرة، وأسرت بجئون في اتجاه  
انشاطي".

وتقاذفتها الرياح الباردة، وتعلثرت فوق الرمال بخذالتي الذي  
التكعب العالي، فوقها كان القمر مختفيا وراء السحب، ولقي  
عيناها ضوا بهتا من الظلال.

وألفت نظرة مدعورة خلفها. كان بول يتعقبها وهي الضو  
الخافت بدأ وجهه شيطانيا. وأطلقت تجري بكل هواها. يأس  
مريب دفعها إلى الهرب منه، حتى أنها لم تبين مدى قربها  
من البحر وانصهور النائلة عند طرف التاطي. وهجاء ارتفعت  
امواج البحر. وأطلقت دومي صرخة عندما تعثرت وسقطت  
على صخرة. ثم شعرت بموجة هائلة تغطيها، وتسحبها.  
وأصابتها برودة ماء بصدمة بدأت تفقد الوعي. لكن صوتا  
هادرا كان يتردد في أذنيها "دومي". "دومي". مصحوبا  
بكلمة يونانية ضاع ووسط هدير الامواج.

وقفر بول بعدما خلع حذاءه، عبر عابسي بالعاصفة

وسبح بقوة في اتجاه الدراع السحيل الذي كان كل ما ظهر له  
من روجته. وعلى ضوء النبرق بدأ يلمح وجهها لمدعور. وبعد  
لحظة، كان يضمها وسط الامواج بينما تشبثت هي فيه بعنف  
كثيبت الاسان بالحياة وساعده على رفع رأسها فوق الماء،  
وبدأت تنبسه، وتذكر من هو منقدها "بول". روجها، الذي  
ترك جسمها المذعور في حمايته.

وحملها حتى التباطي، وصعد بها سلام الغبلا، ودفن في  
عرقة الجلوس من خلال الشرفة الكبيرة. وارتجفت دومي بين  
دراعيه، وسملت قبلا، وعندما نظر إليها تسقطت المياه من  
شعره، لذلك على وجهها، وفتحت عينيها الزرقاوين وتحركت  
شفاها بلا صوت ترددان اسمه. وقال هو بمنتهى الرقة.

"كل شيء عني ما يران يا طفلي، بحمقاء، أنت الآن في  
أمان".

وأسرع إلى الأريكة البيضاء بجوار المدفأة، وضغط على  
الجرس مستدعيا يانيس، الذي أقبل بوجد بول راكما بجانب  
الأريكة، مقتربا من شفتي دومي المرتجفتين كاسا من  
الشراب. وحمل الخادم فيهما. وهل بول بلهجة جادة  
"ما لتبره على التباطي"، وسقطت روجتي في الماء أخير  
لها. أسي أريد رجالات ماء ساخن في سرير روجتي حالا،  
وأبضا أن تعد لها حماما ساخنا. وأحضر لي رار الحمام  
السميك، بسرعة".

وجرى يانيس إلى المطبخ، وباليونانية شرح لليتا ما حدث،  
فحدث الدهشة هي عينيها، وقالت.

"هذه كارثة ليست علامة طيبة يا يانيس. يقال أن من يغني  
في الصباح يبكي قبل الصباح التالي".

"ما الذي يحدثين عنه أيها المرأة؟"

وحقق يانيس في روجته بينما كانت تملأ الزجاجات بالماء  
الساخن. فقالت



"ألم تسمعه يغني قبل الإهطار هذا الصباح؟ عروسان يتنزهان على الشاطئ، هي بيعة عاصفة... أليس ذلك غريباً؟"  
"تعتقدين أنهما تشاجرا؟"

"أظن أنه من الأفضل أن تسرع بإحضار رار الحمام، وإلا فلا البيت صياحاً".

وبعد ذلك، حضر ياسيس الأرملة سيده، قال بول لدومني.  
"سأخضع ثيابك المبللة، لا تقاوميني وإلا عرست نفسك للإهاك أكثر مما أنت عليه الآن".

وكانت بالفعل مهككة جسمانياً وعقلياً، وأرجعت مثل قطعة مبردة. كانت نظراته ولعساسة أبوية، وكان حاسياً وهو يلعبها في الروب، وعندما رفعها عن الأريكة، تركت ذراعها يلتف حول عنقه، وظلت على هذا الوضع وهو يصعد بها السلام إلى جناحها الأبيض، حيث كانت ليثا هي بتفردهما، هلال لها.  
"أعظها حماماً سخماً ثم صعبها في سريرها، ومأولها كوباً من الحليب الساخن".

وأومات ليثا برأسها، وقالت دومني وهي تقاوم ضعفها  
"تصبح على خير يا بول، أنا، أب أسفة على خروجي وسط المصفاة".

"أنا أيضاً أسف، في أية حال، اسمي ما حدث، وحاولي اليوم سارك في الصباح".

وانصرف إلى غرفته مغلق الباب خلفه جيداً. وبعد لحظات قليلة لحق به ياسيس وقال  
"أعددت لك حماماً ساخناً ياسيدي".

وفي سرود سأل بول  
"ماذا قلت يا ياسيس؟"

"أنت مبتل تمام ياسيدي، الحمام حار".  
وابتسم بول وابتعد على فراخ خائفة شاكراً.  
واستسلمت دومني للشموم بمشرد أن استلمت من

شرب الحليب. كان موجاً ثقلاً في المداية، بلا أحلام، ثم هجاء، خلعت أنها تجري على شاطئ بارد. تسمع هدير العوج، وتحس بكعبها العالي يعوص في برمال، وكان القمر يطل عليها من خلال السحب، وتثباً ما كان يتعقبها. واستدارت وألق نظرة سريعة، فرباً قطاً ضخماً يطردها بسبع عيناها بريقاً ذهبياً محبباً. كانت متأكدة أن الحيوان ذا أمسك بها، فسيمرقها أرباً.

وأخذ يتقدم ويتقدم، وعندما أوشك أن يمسك بها، صرخت.

"دومني، طعسي، ماذا حدث؟"  
وأعاقب على الصوت، وتلاشى الكابوس، ووجدت السور مضاً، وبول محبياً فوقها، ممسكاً بكتفها بيدين ذهبتين لاسمين. وعاد يقول بخبت وقلق معاً  
"هل من عندك أن تصرخي في نومك؟"  
"هل... هل صرخت حقاً؟"

وبأملته على الصر الخافت خملات شعره الداكن متهددة فوق جبينه. وابتسمها السوداء الخمرية مفتوحة، يظهر منها صدره لعريض الكثيف الشعر.

وسألت  
"كم الساعة؟ هل اقترب الصباح؟"  
"خاورت الساعة منتصف الليل بقليل".  
ثم عبر ثغره عن ابتسامة كشفت أسنانه البيضاء وهو يقول  
"هاتها".

"أرجو فقط ألا يكون ياسيس وروجه سمع صرختك".  
وهرب كلماته قلبها، ورغم ذلك وجدت نفسها تبسم وتقون هامة.  
"أعتقد أنه كابوس، يا للعرابة، لم يحدث لي ذلك منذ كنت طفلة".

ونظر اليها بول، ثم جلس على حافة سريرها . . وسألها  
"هل كان كابوسا يتعق بي؟ ولكني يادومني لن أسيء اليك  
أبدا . ألا تعرفين ذلك؟"

وأمسك بيدها ورفعها إلى قلبه، وصفتها . وعلى الضو  
الباهت تأمل ب دومي وجهه، ومن جديد لمحت معاناة الوحدة  
على ملامحه غضب راقدة بلا حراك وهي ترمو المة بعينيها  
البرقائيل الواسعتين كانت ترى تحريبا ليس سوى روحها  
وهي بيد التي ضمها إلى قلبه القريب، الأجيب، المعد،  
لمحت الخاتم الذهب الذي يؤكد حقوقه عليها .

### ٣ - الهدية المرفوضة

عندما استيقظ دومي، كانت أشعة شمس تسلب من  
خلال سائر حجرة . يوم لكن خلال لحظات ظلت غير قادرة على  
معرفة مكان وجودها . وجوت ببصرها في أرجاء الحجرة، ثم  
وقع نظرها على صينية الشاي الموضوعة على طاولة بجانب  
سريرها . وحدقت هي آثار على الوسادة بمجاورة، وفي لحظة  
عادت إليها ذاكرتها . . . لقد تروجت بول ستيفانوس،  
البوناسي الوسيم العاصم، الذي يملك خطوطا سملحة  
البحرية، و ندي سرق منه ابن عمها دوغلاس مبلعا كبيرا .

وكانت يداها ما زالت تشعرا بعمس كفي بول لعريضة  
الصبي، وعقنها ما زال وعنا للكلمات اليهودية العربية التي  
همس بها محمومها في الليلة العاصية . وتذكرت أنها استمرت  
في النوم هزلة

وجلست وسكنت لنفسها هجاء شاي . ورشفت منه  
بانتساعة على شعيتها . وربت باسترخاء إلى يدها اليسرى  
حيث ختم الزواج، متبراً لها بمستقبل لا تجسر على التفكير  
فيه .

واخذت حماماً ثم ارتدت بطلونا وبلورة بيضاء من الحرير،  
وبعدما منطت شعرها، عقصه إلى الخلف بمتك، ولحمت



في المرأة النظرة الجديدة هي عينيها، نظرة المعرفة العميقة،  
العميقة، وارتسمت على قمها ابتسامة وهي تتأمل عينيها  
الطويل، إلا أن امتلاكه أياها في الليلة السابعة لم يهرعها -  
ومحب احتقدت بسباب إلى وجنتيها، واستدارت بسرعة  
لتهرب من عينيها .

وعندما دخلت غرفة الطعام، كان بول أمام المائدة يقرأ  
صحيفة الصباح ورفع رأسه وابتسم قائلاً  
"صباح الخير يا سيدة ستيفانوس".

ووقفت هي حياء بعدما ردت التحية، ثم جلست بذورها .  
ولاحظت الشمس تنعني بأشعتها على شعر بول الداكن .  
وأطعمتني أن عاصفة لأمس، تنهب على خير، وأصبح الجو  
صافياً، وأبدت هذه الملحوظة لبول الذي سألها  
"هل تذهب إلى لوف في السيارة، أم تفعلين السير ؟"  
"دعنا نسير".  
"حسناً".

وصب لها القهوة، وتلامست أصبعهما وهو يقدم لها  
الفشار، ولتقت عيناها وسعته يقول  
"تلاشت لظلال من عيني هذا الصباح يادومني".  
وخيل لهما أن هذه لظلال نهضة استمرت هي عندها، لكنها  
ما لبثت أن تبسبت وهم أحكارها عندما رآته يبتسم في مرج  
طفولي، ثم يطلق ضحكة قائلاً  
"يسرني أن هادئة الأمس لم تصبك بأذى".  
"أسي بخير".

ولم تنظر إليه لكنها أحسنت حياة بالدماء تتماجد إلى  
وجنتيها . وسألت  
"هل أنت بخير ؟"

"بكن تأكيد ياروجني العريرة".

وفتح در عيه مثل قط هوي مريع الحركة، ولاحظت

على السخرة التي يرتديها علامة بين أرباء جتهور في  
اسكتلندا، فسأله عما إذا كان قد رآها، فأجاب:

"نقد سافر إلى أماكن عديدة، ولكني أشعر دائماً باللهفة  
للمودة إلى أديلوس الشمس هناك حارة يادومني، وعليك أن  
تأخذي حذرك حتى لا يحترق جلدك الأملكي الرقيق".

وشعر بذهقان عصبي في عينيها لشارته إلى الخريرة حيث  
ينتظرها مستقبل مجهول، وقالت:

"بل سأعرض للشمس قدر الامكان، لا أكسب سمرك  
نفسى".

وأسد ذهبه إلى يديه، وأظهرت ابتسامته مدى جدية  
قمة، وقال مارحاً

"هل تجرؤين على أقصاد هذه البشرة البديعة؟ انك ملكي الآن  
يا سيدة ستيفانوس، بمشركك البيضاء، وكل شيء فيك".  
علق ساخرة.

"مالطيم، احتفظني كأسيرة، أليس كذلك؟"

وأخيل صوته وهو يسألها:

"هل أنت نادمة يادومني على ليلة الأمس؟ كنت جميلة للغاية  
والعفة، لم أستطع أن أتركك. أعرف أنني كنت رجلاً يسهل  
اكتشافه أو التعامل معه لكني أعتقد أنه يمكنني أن أسعدك،  
إذا سمحت لي بذلك".

وأنعب عيناها بعينيها. وتذكرت من جديد السعادة  
المتبادلة غير المتوقعة التي لمرتها ليلة الزفاف، والتي كانت  
نهاية عريته ليوم عصيب. وتركته يحتضن بذها، ويلبس خاتم  
الزواج الذهبي في أصبعها، ثم قالت  
"حدثني أكثر عن الخريرة".

ولم تسأله من قبل مطلقاً عن وضعه وأهله بمثل هذه اللهفة .  
والآن عرفت أن أذا بصفره مات منذ ثمانية عشر شهراً، وله  
أيضا أخت غير شقيقة تعيش مع عمته صوفيولا

وابيها ميكوس، هي بيت قرب مينا، انديلوس، وعفته تزوجت من ضابط بحري، فالحذر، وسفن في دماء كل أفراد أسرة ستيفنوس، وميكوس كان يستعد ليصبح شريكا في خطوط بول البحرية عندما يبلغ الواحدة والعشرين من عمره.

وسيتك عن اسم اخيه التي لم تكن تعرف بوجوده، وأخذت تقامله، مدركة أنها لا تعرف عنه الا بقليل، وبسبب قائلها

"اسمها كرا" وهي في السادسة عشرة من عمرها وكثيرة الحركة عفرية ولكن بطيفة ومرحة كالجمال البري".

"لا أعرف الا القليل عنك وعن أهلك يا بول".

واستقرت عيها على الدبة، واستأققت قائلها

"مثلا، كيف جرت؟"

"آه، هذه قصة طويلة، ربما حكيتها لك ذات يوم، ولكن ليس هذا الصباح".

وابتسم وظفت عيها جامدتين، وبدافع حفي نهضت دومني، ودارت حول المائدة لتقف بجانبه، وأمسك بها في صمت. ثم جذبها وتأمل وجهها بعصبية، هذا هو بول رددت ذلك لنفسها، ودخل ياسيس عندما طرق الباب، وانتظر لحظة واحتقن وجه دومني وهمت بأن تفلت لكنه تمسك بها بدون حرج، بينما كان ياسيس يسان إذا كانا يريدان استعمال السيارة فينظفها، ولكن بول أخبره أنها سيترها سيرا على الأقدام حتى مدينة نوو، وسيتناولان غداهما هناك.

واحنى ياسيس، لكنه لم يستطع أن يحفظ بجديته المعتادة عندما وقع بصره على دومني بين دراعي سيده، وقد احتقنت وجنتها بشدة.

واستطرد ياسيس يقول،

"أمر آخر بسيدي، لم أستطع تنظيف الأريكة، فمياه البحر والرمال أتلفت خزيرها الرقيق".

وابتسم بول وهو ينهض واقفا وقال

"لا تقلق يا ياسيس، ربما تستطيع ليلا تدبير غطاء مؤقت للأريكة. وسأعوض أصحاب البغيتا تعويض مناسب، ثم سألن يبقى هنا أسبوعا. لقد أتصلت تليفونيا بالمسؤولين لتغيير موعد الحجر في الطائرة - سيطير الى أثينا صباح غد".

وكان لبظرة الذهقة هي عيني ياسيس صدادها في عيني دومني عندما حدقت في وجه بول وسألت

"لماذا البغيتا؟"

"لعل أنه تحين الى وطني وبيني - لا أستطيع الانتظار طويلا يا روتحي، الصغيرة قبل ان أريك جزيرة أنديلوس".

وربما كان صدادها، لكن دومني بدأت تعرف أنه عندما يكون

شارد البغيتا، دائما أنه قلق، أو أنه يطيع بشيء ما.

وأحست هذه المرة بأنه قلق ولهذا الأمر صفة بها.

وبعد نصف ساعة بدأت مسيرتهما الى نوو، كان يوما مشرقا

من أيام الربيع، وأحست دومني وهي المشوكة دائما بصحة في الهواء الطلق، بالتجاوب مع الجو، ومع المناظر الطبيعية، وأيضا مع الرجل الذي كان يسير بجانبها.

شعرت أنها محروس في ذلك اليوم، وغمرت بها نظرات أعجاب كثيرة وهما يدخلان المدينة، ويتجهان الى المصرف، كانا في طريقهما الى استرداد لشيكات المرور، وفكرت دومني في تلك المخلوقه الخائفة التي تسالت الى حجرة بول في الليلة السابقة، محاولة العثور على هذه الشيكات وتلاها، حتى تكون حرة في الهرب من ذلك الروح.

واختلست نحوه مظرة، كانت أشعة الشمس تعكس هوى شعره الأسود المجدد. وكان يضع مظارة شمس قديمة على عيبيه، إذ كانت عيها - كما أخبرها - لا ترتاحان الا في الضوء الخافت، وكان يعصي صدادا دائما لم يجلبهما عن الشمس من وراء النظارة ظهر ذلك، بغريب الغامض الذي اقتحم حياتها، وأرغمها على التروج. ذلك الرباط الذي بن يفصم



الا يموت أحدهما .

وبينما ذهب هو إلى المصرف، تفرحت دومني على واحدة محل بيع التحف، وبدفع حفي دخت، سألت عن ثقالة ورق صغيرة من النحاس على شكل حيوان أشبه بحصان له قرن . . . أرادت أن تقدمه لبول . لسبب أنثوي غريب .

وأقبل بول من المصرف، في الوقت الذي خرجت هي من المحل . وهرعت إليه، وشعرها العسلي الكثيف يتطاير ومدت يدها إليه بالهدية قائلة

"انظر، هل تروق لك؟"

وابتسم قائلاً .

"هل كتب تبحثين لنفسك عن لعبة؟ كم ثمنها؟ مادعها؟"

"لا يمكن، هذه هدية مني، سيبدو النحاس لامعاً جميلاً كعملية جديدة بعد أن افركته ."

"أحظاً تقدمينها لي؟"

سكتت . ثم استطردت قائلة

"عبرها هدية الزواج، لا يمكنني أن أعدهم شيئاً أعلى منها ."

همس بول .

"أبها هدية غالية لأنها منك ."

وأعاد النظرة فوق عيني، فلم تستطع أن تقرأ فيها الاثر، ولكنها أحست من جرات صوته أنه أحب هديتها الصغيرة .

وتراقصت بتسامية على تهنيه وقال وهو يمد يده إليها

"ه هي الشيكات يادومني، لكن الخش لا أستطيع احراقها وسط الطريق ."

"أذن أنتظر حتى يعود للهيكل ."

وخفق قلبها بعنف، كانت تريد تلاف الشيكات بعيداً عن حياتها إلى الأبد، لكنها أحست أن من واجبها أن تظهر لبول أنها تثق به .

وصاح هو:

"كلا . - يجب أن ينتهي من أمرها ."

وتلفد حوله، ورأى سلة المهملات قريبة، وبسرعة مرق الشيكات قطعاً صغيرة، وتطاير بعضها، وبمحت خط دوغلاس عليها، ولمحت أيضاً اسم بول .

وبدأوا طعام العشاء في مطعم قديم، ثم وجدا مكاناً صغيراً على الشاطئ انزلي، وتمددت دومني، وتوسدت ذراع بول، وهي تنصب إلى هدير الموج، وببضات قلب روجها بقامضة . وأحست بالدفء يسري في كيانها . وأيضاً بالرحمة، وهي في رفقة هذا الرجل، الذي تساءلت . . . كاتب ستحقده عينا، لأنه ابتاعها من فرد ن . . . ومن حياتها الوديعة .

وداعب شعرها وقال

"دومني، سأطلب منك أن تعطيني وعداً، وسأوقع منك الالتزام به ."

وحذقت في وجهه الذي بدا غامساً . وأحست أنه ما زال قريباً منها . وسألت .

"ما نوع الوعد الذي تريده مني؟"

"أن تبقي مني، مهما يحدث بين اليوم والقدر . عندما يترك انكثرا لذهب إلى اليونان ."

واستعصت جالسة . . . واراقت شعرها إلى الوراء بعيداً عن ميمها . وتهدت وسألته في قلق .

"ما الذي يمكن أن يحدث يا بول؟"

"ربما عدت إلى كراهيتي ثانية ."

وأمسكت بذراعه وقالت

"إنك تخيفني يا بول، لقد كنت سعيدين اليوم . . . هذه السعادة يمكن أن تستمر ."

"من يمكن أن يتنبأ بالمستقبل؟"

والنقطة ثقالة التورق لصغيرة وأخذ يظلمها من الزمان الذي علق بها، ثم عاد إلى القول:

"هل تعرفين الى أي شيء يرمز هذا الحيوان الذي منبه  
الخصان؟"

وهزت رأسها بالتقي، ولمحت عابسا شاردا فشمعت بأصابع  
برودة تعتصر قلبها، مزاجه انمجا في من دقائق كان يعانقها  
فوق الرمال، ولأن تعكر مزاجه وبدا مكتنبا، وأعد النظارة  
القائمة الى عينيها، وقال:

"هذا الحيوان يرمز الى أكثر الأمور مروعة في العالم،  
السعادة الحقيقية، انه مخلوق وهمي، خيالي، وكذلك شأن  
السعادة مجرد وهم بالنسبة الى البعض قد يمرقها الألم  
والكوارث، ولكن ذلك في الحقيقة لا يقضي عليها تماما،  
وبالنسبة الى البعض الآخر يوجد شق في الأساس منذ البداية،  
ولذا قد تتدعى أهم أول عقبة، وأساس علاقتنا به شق  
بادومسي وكلاهما يعرف ذلك."

وارتجعت سماع كلماته، بينما استطرده هو يقول واضعا يده  
فوق يده

"يجب أن أخذ منك وعد بانك ستستعيرين معي مهما حدث  
وبدا كلامه غامضا، وتعترت انه ينس تحت وظأة الشعور  
بالذنب، وذاب قلبها وبظراتها تستقر على الندبة التي لم يتأ  
أن يحدثها عنها وقادت:

"أنت روجي في لسراء والضراء - أما لا تستطيع أن تحطم  
رابطة الزوج، وإن كنت تستطيع أن تحطم أشياء أخرى."

"أذن فهذا وعد؟"

"انه وعد يا بول"

وتنهض الصعداء - ثم أشعر سيكارة وكان لا يزال شاردا،  
اد ظل عود التقاب بيده حتى أخرج أصابعه، واستمرت دومسي  
تراقبه، وسرت عنده بدت عليه علامات الارتياح بعد قليل،  
فجأة سألته

"أنت لست يونانيا تماما، أليس كذلك يا بول؟"

واستدار في دهشة  
"كيف عرفت؟"

"من عيتيك، عندما أستطيع رؤيتهما، وأيضا من كوييك"  
جدسي اسكليزية، ولكن ما دشن تكوييني في كويي ست  
يونانيا هائلة في المائة؟ ألم يكن قدما الانريق طوال  
القائمة؟"

واستعنت .. واقتربت منه بوجهها قائلة

"وهل اخترت أن تتزوج اسكليزية من أجل جدتك؟"

"ليس معانا لكن في أية حال، للاسكليزيات سحر غامض"

"معنى أما لا تعرض بضاعتنا كلها في واجهة لحد؟"

وصحكت ووجدت أصابعها و مابعه وسط الرمال، وقال هو

يلسهما بعينية

"تماما، الرجل دائما يتوقع منهن غير المتوقع"

"هل عرفت كثيرات من بنات وطني يا بول؟"

"تراسي أثرت بعض غيرتك؟"

"كلا"

وأطلق شعكة عصبية، بينما كان هو يعتصر أصابعها بين

أصابعه، واقتربت من صدره، وخبأت فيه وجهها فجلا من

الأحاسيس التي استبدت بها ابهارا برجولته، وتمتمت:

"يا لك من متوحش"

وضمها هي قوة وقال:

"أن من يوصفون بانه مدية ليسوا كذلك تماما يا أسبرتي، لكن

أمارلت أخيك؟ أمارلت في نظرك الرجل الجامد انقاسي؟ لم

تكوي بالأسس خائفة عندما ضمنتك، وأمتزجت ببضات

قلبيما"

همست في حياء

"لا أستطيع، لا أستطيع أن أتكلم عن ذلك"

والقى سيكارتها فاستبدت بها أحاسيس عنيفة، وفي



الوقت نفسه مخيفة وأحست أنها لا تستطيع أن تفهمه أبداً ،  
أو أن تعرف القوى الخفية التي تحركه، وتحمله يتقلب بين  
الرقعة والسف.

ما الذي كان يريده منها؟ الحب؟ ولكن كيف كان لها أن  
تخبره بأنها تحبه، وهي نفسها لا تعرف حقيقة مشاعرها  
نحوه؟

وعاداً إلى الفيلا مع غروب الشمس، وبعد دخولهما الصالة،  
وقع بصرفها على منظروف أصفر بحاسب الهاتف، كانت برقبة  
باسم دومني. وفنحت منظروف بأصابع مرشحة، وراقبها بول  
وهي تغراف، وعلى وجهه قناع غامض، وعندما رفع عينيها  
أخيراً، نظرت إليه من رأسه إلى قدميه. أحست كما لو كانت  
قد أمضت الثماني عشرة ساعة الأخيرة بائسة تحلم والآن  
ستيفلت من حديد، ستيفلت على الكرسي التي لم تقاومها  
إلا لفترة محدودة.

وكان بول هو الذي بدأ الكلام، قال:

"هذه البرقية من عمك هياماً."

وناولته إياها بدون أن تنطق، وقرأ

"عرفت بأمر الشيكات من دوغلاس - اتصلت ببول هاتفاً ليلة  
أمس. عودي يا عزيزتي."

وبصوت بارد قالت دومني

"أذن اتصل بك عمي ليلة أمس؟"

"هذا صحيح يا عزيزتي."

"رغم علمك بأن دوغلاس أخبر والده بالأمر كله، ورغم ذلك  
جئت إلي و... و..."

"لم أتعهد ذلك يا دومني، وأعتقد أنه لا يجوز أن يصيح أحداً  
في وجه الآخر في الصالة... أمام يانيس وزوجته."

وأمسك بدراعها وراقبها نحو غرفة الجنوس وأغلق الباب ثم  
أسده مظهره وقال بهدوء.

"جئت إليك ليلة أمس لأمس صرخت أثناء بوهك، وكنت قلقاً  
عليك. ولكن... لو أنك رفضت وجودي نعدت إلى غرفتي. أنك  
لم تصديمي ولذلك... ولا يمكنك أن تنكري أنك مسست  
كراهيتك لي ليلة الأمس، وأنت كنت لطيفة معي طوال هذا  
اليوم."

وأطلق دومني ضحكة متوسرة. وأملته إذ فقد سحره في  
عينيها وقالت

"أردت أن أسمع بلغيتك الجديدة، بملكيتك، وكان لك ما  
أردت. أنت قلت ذلك هي هذه العرفة ليلة أمس وكان علي أن  
أهي بالشرامسي الزوجية سواء رعبت في ذلك أم لم أرب،  
ولابد أنك مسرور لأنك قلت ما تريد بدون مقاومة."

"كلا يا دومني، كلا."

"لا تلمسي. لا تلمسي ولا أصابي الفتيان من مشاعري  
الضعفاء، ومن اعتقادي لفترة أسي يمكن أن أتعلق بك، لابد  
أنك طوال اليوم كنت تبخر مني. عندما مرقت الشيكات،  
عندما تركتك تقبلي فوق الرمال حسناً، إذا كان جسمي هو ما  
أردت. أدركت ما انتريت، ولكنك بكل ما الذي لا يمكن  
أن تشتري تقني (أو حبي وروحة بدويهم لا تعني شيئاً  
يا بول."

ونجمت تعابير وجهه، وبدأ كما لو كان تمثالا من حجر.  
وقال

"احتفظي بحبك لنفسك هل طالبتك به مرة؟"

"كلا، ليس بالكلمات، ولكن لا أعتقد أنك لست أساءاً حتى  
تسمع طويلاً بصحبة روجة تكرهك. كيف تجرؤ يا بول على  
هرماني من حرية الاختيار بين فرد ن والديوس؟"

"أيوانسي وحده يستطيع أن يتحدى الأقدار، ولو أنني تركت  
لله أمس يتحدث مع عمك، تهربت إلى فردان، إلى عمك،  
من هذا كل ما تطمعين به في الحياة؟ أن تظلي فتاة تقوم

بكل الاعمال هي بيت ليس بيتها ، بيت مرهون حتى آخر جزء فيه " ١

"فردان بيتي، ووطني، أحب كل حجر فيه، لا أستطيع أن أشهر بذلك بالنسبة الى بيتك " .

"ولكنك ستعيشين هناك معي " .

"لاستي أعطيتك وعدا ، ولن اكث بوعدتي " .

"شكرا يادومني " .

وتجمدت نظراتها وهي تقول:

"لا تشكري يابول، لست ستقدم فيها بعد على أنك جئت الى فردان والتقيت بي " .

وفتحت ليا ب، وتجهت الى سلم . كانت تستعص ابعمالا وشعرت بالضعف وهي تصعد الدرجات، واضطرت أن تستند على سياجها، وتنفست الصعداء عندما وصلت الى حجرها، واستلقت فوق سريرها، ودفت وجهها في الوسادة لم تستطع البكاء تجمعدت الدموع في عينيها . وشعرت بنقل خاتم الزواج في اصبعها أشبه بالقيد الذي يربطها برجل بلا قلب . رجل أرغمها على روج لا حب فيه تحدث عن التلق العوجود هي نسيج علاقتهما وقل أن أول عفة يمكن أن تحطم هذه العلاقة . . . كان يعرف أنها لن تغفر له خداعه وسخريته من ثقته به ليلة الامس .

وسرت رجفة في أعماقها وهي تتذكر الكلمات التي همست له بها .

"أترك دراعيك حولي يابول . . . ودعني أنام هكذا " .

## ٤ - حرارة الرواسب

جان موعد العشاء، وارتدت دومني ملابسها، برغم رعبتي القوية هي أن تعلق عليها عرفتني، ولا ترى بول أبدا . كانت انكسرية حقيقية، وما كانت تلود بركن هظم تخفي فيه نفسها لمجرد أنها جرحت . كان عليها أن تظهر بوجه شجاع لتواجه عدوها ببقايا ما ترك لها من كبرياء .

وأحس بول وهو يتأملها عبر مائدة العشاء، أن لفجوة بينهما لم تكن أبدا على مثل هذا الاتساع . كانت موهبة . وكانت صمت اليه، وترد عليه، وهو يخبرها عن أنواع نفس المختلفة التي يمكنها تركته، بل أنها تكلفت ابتسامة صغيرة عندما يرد عليها بعض مودره عن «ركاب» . يكن ألما قائما كان يومص هي عينيها الرقاوين بين الحين والآخر .

ودها بعد العشاء الى غرفة الجلوس حيث أعد بول آلة العرض وتناثرت عرض عليها مجموعة الأفلام التي صورها بنفسه لرحلاته، د كانت هذه هويته . كانت الأفلام مليئة بالمناظر الخلابة، ولكن لم تكن توجد نقطة واحدة يظهر فيها وسط مجموعة أصدقاء، أو حتى رفيقة واحدة . وعندما انتهى العرض، وأضاء الثور سألته دومني .

"هل تسافر دائما عندما تكون في أجارة " ؟



وسكب شراب ، وابتنس قليلا وهو يمدونها كأسا وقال  
 "أحب أن أطلق وحدي، انه تدود عبر مؤد اليس كذلك؟ في  
 أية حال فاني أصحب يسيب معي كمرافق، لأني كسول  
 للغاية لا أعرف كيف أرتب ملايمي".  
 وأخذت تتأمله يقوّر ولا مبالاة. وقالت لنفسها ان رجلا  
 بهتل وسامه لا يمكن أن يقصي أمساته دائما وحيدا، حتى لو  
 كان ذلك شانه بهارا لا بد أن يساء أخريات كن هي حياته -  
 يساء أحسن بجادبيته، وحاول ترويضه. ولكن لا ترويض  
 لرجل مثله!  
 ولما كتب تسمى أفكارها، الحزيمة أتته كلامه، قال  
 متعددة.

"حدثني عن اليونان".  
 ورفع كأسه لتحيته، ثم استلقى في مقعده، بيدها ألق  
 الأضواء ظلالها على وجهه، وقال.  
 "اليونان أرض المتكسفات، أرض الشمس المشرقة، والظلال،  
 أرض التسامح والانتقام. بعض الأجر، فحلة، والأخرى غنية  
 بمحاصيلها من العنب والتين والريثون والصبوبر. أه الصوبر.  
 انه يملأ المكان برائحته الخلوة".  
 وسكت. وهدق بعينه انداكنتين في نار المدفأة. وعاد  
 يقول.

"اليونان أرض اما أن تحب، و أن تكره مثل أهلها.  
 والأساطير القديمة ما زالت حية في أطلالها، وعندما يشهدني  
 مدينة أثينا لأن من الصعب أن تصدق أنها منذ أعوام ليست  
 عديدة، كانت ممرقه ببساطة. لأخ كان يقاض أحباء، والكثير  
 من اطفالا أخذوا، عبر دجبان أباردة كقطعان الغنم الى  
 البانيا وبلاد أخرى معادية. ما كنت الا طفلة يادومني عندما  
 حدث كل ذلك".  
 وقالت برقة لأنها عرفت مدى حبه لليونان.

"أنت تفكر يا بول لم تكن كبيرا".  
 قال في ابتسامة جافة - جافة وحريئة - أشبه باوراق  
 الخريف عندما تسقط عن الأشجار لتعوت على الأرض.  
 "كنت كبيرا بما فيه الكفاية لأن أرى الكثير. لكني لا أتكلم  
 على هذا النحو لاستمليك يادومني، أو لأكسب هودتك".  
 "بالطبع لا، ليس العطف هو ما يريد به بول، اليس كذلك؟"  
 وأعلنت ابتسامة شفوية. وقال.  
 "أسأل إذا كتب يؤمنين بالروابط لقدرية. كن من المحتم  
 أن تلقى... فما رأيك؟"

"أرى أن القوى الخفية ليست دائما رؤوفة بالبشر".  
 وأصبح الحديث بينهما منقطعا. وطالت عثرت الصمت،  
 وصارت كن حركة سعي احساس كليهما بالتوتر. فعندما بدأت  
 اسار تحبو في حشب المدفأة، التقت عيناها فوقها، وعندما  
 تحركت السائر، هتائرة بذلك التيارات التي تفرغ الغرفة  
 عندما سحبت فيها نار المدفأة، التقت عندها مرة أخرى  
 عيناها.

وعقدت دومني يديها في حضنها. يجب عليها أن يبهما  
 الآن، وأن يصعدا الى الطابق العلوي. لا يستطيعان البقاء الى  
 هلا نهاية في غرفة الجلوس التي بدأت تضيق بوجودهما  
 وتحفرهما على الخروج منها.

ثم هجأة بدأت الساعة تدق، وتعلن منتصف الليل، وقهر بول  
 وعفا وامحت دومني الخشونة العياقة التي اكتسب بها وجهه  
 وهو يصيح  
 "اصعدني الى الطابق العلوي قلن المسك اعرف أنك تشمئذين  
 لمجرد رؤيتي".

وبهفت بدورها، ووضعت كأسها جانبها، وكان وجهها خاليا  
 من التعبير وهي تقول  
 "يصبح على خير يا بول".

ورد عليها التحية باليوبانية، وخرجت من الغرفة... رشفة  
في ثوبها الأزرق متناقضة قليلا في متبعتها كطرفة صغيرة  
متعبة. وتتبعها بول منظراته حتى أغلق الباب خلفها،  
وحينئذ تقلص أصابعه حول نكاس، فأكبر محدثا صوتا،  
وسالت قطرات المشروب على يديه.

ثم تسمعه دومني يدخل غرفة المجاورة الا في وقت متأخر.  
وبعدت صوترة وهي تفكر "يحب ألا أصرح الليلة اذا سمع"  
لكنها في النهاية وقد انهكتها عواطفها الجرحه - ماتت يوما  
عميقا، حتى أيقظتها بيتا حامية اليها شيء الصباح.

وكان عندها أن يفدرا المكان في الثامنة والنصف، لكن  
كان على دومني ان تتحدث مع عمها قبل الرحيل. التحدث اليه  
البارحة كان مستحيلا، اد كاس في حالة اضطراب لا تسمح  
لها بذلك. ولكن هذا الصباح استردت بعض الهدوء، وتوسلت  
أنها تستطيع أن تبدو مفعمة عندما تعرف لديها أنها متشوقة  
لرؤية "بحريرة" التي ولد فيها زوجها، حيث سيعيشان.

وكان بول يقف في غرفة الجنوب مع يانيس أمام الخفاف،  
عندما أدارت دومني لرقم الذي بوصفها ببيب طفولتها. كانت  
تريد ان تطمئن عمها مارتن الى أنه لا حاجة به الى القلق على  
دوغلاس ودعت اليه في صمت أن تستطيع اقناعه بأنها سعيدة  
في رواجها ببول ستيفانوس.

وأقبل زوجها من غرفة اخلوس بيضا كانت في انتظار  
توصيلها بفردان، ونظرت الى وجه الطويل الأسمر وهو يصعد  
"سلم، ويعني في اسمر المؤدي الى الجناح الأسمن. تركها  
تتحدث بحرية ولكنها لم تشعر بحوه بالعراق، لأنه لم يتصرف  
بشهادة الا بعدما ألقى أرائه.

ولكن الدفء أخذ يسري في صوتها وهي تقول.

"عني مارتن... كيف حاله أيها العزيز؟"

وتكلمت دومني مع عمها خمس عشرة دقيقة. وقالت

له بحرم، أنه يجب ألا يقلق بشأن دوغلاس. وان كل شيء أصبح  
على ما يرام. لأن، وأنها متأكدة أنه بعد تورطه مع بول لن  
يعود ثانية الى مائدة القمار. أجل، بول كان مصدر رهيب،  
كلما، بالطبع، فهو لم يرهبها هي... يالها من فكرة!

وأطلق ضحكة، وسنطردب تعول بسرعة انها شاهدت  
بعض أفلام عن عيوبان، عرضها بول في اسبت، و بها تبدو  
بكل تأكيد بلادا اثيرية رائعة.

وقال عمها بصوت متهدج.

"أعنيك مادومني. هل أنت متأكدة أنك سعيدة مع بول؟"

ونظرت الى الجدار الذي يعو مضدة "لنصف، وقدومت  
مخاوفها من الحبة التي تسطرها مع رجل لا يحبها وقالت  
تطمئن عمها

"بستطيع أن يكون لطيفا، وهو رجل وحيد للغاية."

وكان بول في تلك اللحظة يهبط السلم، وهيمت من وجهه  
أنه حان الوقت لتودع عمها. ولم تعد تخشى ان يدرك من  
صوتها انها غير قادرة على حبس دموعها وهي تقول له

"ودعا... وداعا... سأكتب نيك بمجرد وصولي الى أثينا."

وتردد صدى الكلمات في ذهنها وهي تخرج لركوب سيارة  
الأجرة مع لينا ويانيس، ولحق بهم بول بعدما أحكم الخلاق  
الغيللا. واسلقت بهم السيارة الى المطار. كانوا سيصيرون  
الى باريس، ومن هناك يأخذون طائرة أخرى الى أثينا.

بعد الاجراءات المربكة التي تمت بعد وصولهم الى مطار  
أثينا، ركبوا عربة الى فندق "هيلينيك"، نكلاسيكي لذي كان  
دا شهرة واسعة تستخدم مطعما ومقاصف للرقص، ومن هو فل  
جماحها كان "الأكروبوليس" يظهر على شؤ "سجوم، وذكر  
بول أن سحره التاريخي يتجلى في الليل ومع الفجر.

وكان يانيس وروحته قد أعفيا من واجباتهما، واخذا  
اجارة، وكان عليهما ان يتوجها بعد ثلاثة أسابيع الى



جريدة "أندريوس" قبيل وصول بول وعروسه إليها بأسبوع .  
وشعرت دومني بالموتر لوجودها وحدها مع بول عروس  
غريبة هي أرض عربية . ولكن لم يكن في استطاع محب  
ذلك ، وكان عليها أن تعتاد زوجها عاجلاً أو آجلاً .

كاتب متعبة بعد الرحلة الطويلة ، لذلك تناوب الطعم ذلك  
المساء مع بول في حجرة الاستحمام في جناحهما ، وعندما  
نهى لها يوماً هيناً ، نحى رأسه الداكن ، وطبع قبلة على  
وجنتها ، وهي الحال استدر مسعد وهو يبدو فاتراً . إلا أنها  
لم تستطع أن تتجاهل الرغبة التي اكتسحتها .

وبسبب أشعة شمس اليونان الذهبية من خلال موافد معرفتها  
صباح اليوم التالي ، وبقيظتها من نومها .

وساؤلاً افطاراً مكون من عصير الفواكه ، وانكريما ولعسل  
وفطائر السمسم . بعد ذلك أكلا التين العسيري اللون ، وشربا  
القهوة اليونانية ، وهضمت دومني .

"أيتها لذيذة" .

واستمرت عيناها في سرور على أرهاق الليمون وسط أوردتها  
اللامعة التي كانت تحيط بسور الشرفة .

وقد لها بول محذراً :

"لا تشربي رواسب القهوة" .

تلاعبت بالفجار بصغير وهي تفكر بان حرارة الرواسب  
شأن ، شياء أخرى كثيرة تبدو حلوة ثم تترك حرارة هي  
نهايتها .

وسأل بول وهو يعتدل في مقعده ويشعل سيجارة .

"ماذا سيفعل هذا الصباح ؟"

لم تستطع ، أن تتجنب النظر إليه . كان شعره برقيق أخذ  
تحت أشعة الشمس ، وكان يرتدي قميصاً قصير الأكمام ،  
ويبتلوا ضيقاً وحلفت ادخن تنصاعد أمام عينيها  
اندهيتين ، هتصقان ، وتنع نظرة بمر حقتس .

وقدنت دومني

"جولة لمشاهدة الآثار ستكون تيناً لطيفاً" .

"أذن سأخذك إلى بلاكا المنطقة القديمة هي أنيد" .

واستغرب شعاعاً عن ابسامة كشعت بيض أسدته .

واستطرد يقول .

"أليس صديلاً لأن الطرق الحجرية قديمة ومتآكلة ، وبعد أن

ننقي نظرة على المخلات سجارية ، ربما تريدان مشاهدة

الأكروبوليس" .

"بكل تأكيد" .

ولمحت علادة يونانية تلعب خلال فتحة قميصه دكرتها هذه

العلادة المتصقة بصدرة بما كاسب تحاول جاهدة أن تمسك ،

احساسها بها هي الظلام" . تلك الليلة الأولى .

وبهضمت بسرعة ، وقالت

"يجب أن اذهب لامشط شعري ، واضع أحمر شفاه" .

واستدارت وذهبت في غرفتها . وتجدبت النظر في عينيها

في المرأة . وارتجعت بدما وهي تضع أحمر شفاه ، وكان

عليها أن تمسحه ، وأن تعيد طلاء شفرتها بلون الوردي .

وحدقت دومني في غمها دي الشفة لعب الرقيقة الحساسة

والشفة السفلى السخية الممتلئة . وأحسنت انه تعرق عندها

استسلم بهضمت لفمه الذي قال لها بغفور :

"احتفظي بحبك" . هل ظلمته معك مرة ؟

وأشاحت بوجهها بسرعة ، ووضع الصندل في قدميها ، ثم

أخذت حقيبة بدما ، وألقت نظرة أخيرة على صورتها . كانت

رقيقة ورشيقة . ولم تتربس إلا بشعرين . الذيلة الذهبية

البسيطة . والخدم الفيروزي الذي كانت ررقته تضاهي ررقه

عينيها .

دومني ستيفدوس . ابتسمت للفكرة وان ارتجفت لغرابة

الاسم . دومني دان ذهب إلى لايد ، تاركة فقط

الكيس والوجه النديين دفعا رجلا الى طرف ملتوية ليفور  
بمقتلاكمهم . وبعدت عن المرأة، ولحقت بروجها لبرارة  
بلاكا والاكروبوليس.

وكنت شوارع البلاكا مهمة وضيقه، ومليئة بمحلات مفضحة  
الاسواق كالسوق وبيوت دس شرهات خشبية .

وشعر دومي بأصابع بول الداعنة على مرفقها وهو يشير  
الى التوم ولعلل الأسود في واجهة محل بدة، والاحدية  
الشعبية القديمة خارج محل احدية، سلال اندكته الحميلة،  
وكس هناك بائع اسفنج يحمل مجوعة انبه بالباليونات  
الملونة، وبائع بطيخ بجر عربة خشبية "كارو" واشري بول  
شرائح من البطيخ، وبعد ذلك دومي قطعتها ثلاثي احمر  
الشفا مع الصمير، وبدت كمرافقة هي اجارة وهي تخلق  
حونها في الدس بدس ملأت بهم التوارع الصاخبة الزاهية .  
وضحك من فوق كتفها لبول وقالت

"انه مثل رفاق اعرفه في بلادنا بائع الاسفنج سيخفي انا  
دهمه الرياح ."

وابتسم، واقترب منها قليلا، وقال  
"من أنت سبعة ؟"

وأومات براسها . ذلك أن البلاكا كانت ذات بحر لا يقاوم .  
وأعسك بول بأصابعها المملة بده النسيج، وضعدا معا اللالام  
غير المستوية، وهما أمام المعامي لفديعة حيث جلس التبرج  
أمام أكواب، نقهوة، تركية . بعضفون النكص (سيومانية)،  
فيبدو كها لو كانوا، يتناحرون .

ورأت دومي اليونانيات دوات الأجسام الضخمة بصحة  
بساتن الرشيفات، ولاحظت أن شيئا عديدين كانوا على  
الكثير من الوسامة يشبههم الاسود وكثيرون بالعباس  
العسكرية، وأخبرها بول أن الخدمة العسكرية اجبارية .  
وعندما نظرت اليه لمحت ظلالا تتحرك على صخرة وجهه .

ثم نظر جانبها الى أحد المصلا، ولم تستطع أن ترى عصبه  
وكنت نظارته الشمسية في جيب قميصه . لأنه لم يكن بحاجة  
اليها في ذلك النكاس حيث خفت الشمس وراء سطوح  
المبارل .

ووقف أمام واجهة محل صغير يعرض بعض المصنوعات  
اليدوية الوطنية . احدية مطررة، وحقائب يد، وتر ثد حريرية  
من الخرز الناعم للقلل وكذلك من المشبك والاقراط . وقال بول  
وهو يمحس فوق مصروضات

"دعيني اشترى لك تذكارا لزيارتك بلاكا ."

وخرج من المحل رجل معمم، ووقف يرقب بول وهو ينتقي  
قرطاً على شكل قلب . وسأل الرجل عن الثمن، ودفعه له، ثم  
جذب دومي، وعلق لعلين الرقاوبين الصغيرين في ديبها .  
وصفت

"المرط رائع يا بول، يجملي أشعر كما كنت من جوارى  
الحريم ."

ولكن بول لم يبتسم، وأمسك بها فجأة من خصرها، ورفع  
دفعها بسده الأخرى وبدا فمه في مثل علف ذراعته . وحدق  
بمبنيه الذهبتين في عينيها، وقال في صوت خافت، أجش .

"هل هذا ما تشعري به؟ مثل جوارى الحريم . اللواتي كن  
يشترين بالمجوهرات ؟"

ونظرت اليه معلوبة على أمرها . وقالت مرتبكة

"لم أقصد ذلك، كنت أمرح ."

"الاشعور أحيانا يدفعنا الى نطق كلمات يعتقد أنك لم تكن  
بعينها ."

ثم حررها من قبضته، وأكملت مسيرتهما الى الاكروبوليس  
في صمت . وشعرت دومي بالرغبة في البكاء . جوارى  
الحريم اسرقب الكلمات من فمها تنفس عليه بهجته بشراء  
هدية صغيرة لها .



ووقفت دومني وهي تشعر بضآلتها وسط الأعمدة المتاخمة  
تنظر أعلى وأعلى وتفسر تناسق هذه الأعمدة وعظمتها وهي  
أشبه بالأصابع تشير نحو السماء.

وأخذها بول إلى دهبير لعدري حيث صوب السياح آلات  
التصوير، وأخذو يلعبون بتمثيل التي بدت كأنها بحرك -  
وأراها شجرة انزبون، العذبة التي ما زالت موجودة، رهرا  
للأمل.

وتسمرت نظراتها عليه وهو واقف على النعم الكبير وقد  
أحرقته الشمس بأشعتها الذهبية، ولمحب من جديد على وجه  
ذلك التعبير، كما لو كانت ذكرى موحية داهمة وهو ينأمل  
عاصفة ليونان القديمة.

وكان بول يحمل معه آلة تصوير، فالتقط لها عدة صور وهي  
متكئة على عمود إستر، وهال في ابتسامة ساخرة.

"ستتوقع كارا، أن يحمل معها مجموعة من صور شهر العسل".  
"أذن لا بد أن يأخذ صوراً صفاً، لنسعد كارا".

وبمساعدة أحد السياح الأمريكيين وهما جنب إلى جنب،  
وبداً هو يستعد لالتقاط عدة صور لهما، وقال الأمريكي وهو  
يداعبهما بلهجة المرحّة:

"أعرف أنكم معشر أيوسيين تتحفظون أمام الآخرين، ولكن  
وضع ذر علك حول السيدة سيبدو لطيف".

ورمق بول دومني بنظرة متهمكة ثم أحاط خصرها الذهبي  
بذرة، وجذبها إلى جانبه، وكانت ابتسامتها أمام آلة  
التصوير متوترة كجسمها، وشعرت بأصابعه تغوص في خصرها  
وتؤلمها، ثم انتهى التصوير، وتركها متجها إلى السائح  
الأمريكي الذي قال له:

"ستظهر صور روجتك رائعة، تماما مثل واحدة من بسات  
الاعريق".

و بتسم بول لسائح شاكرا وهو يستعد آلة التصوير،

هرد الأمريكي المعو باليونانية وهو مفتبط بنفسه لانه يمكن  
من معرفة هذا القدر من اليونانية.

ثم ألقى بول نظرة إلى ساعة معصمه وهال لزوجه  
"لا بد أنك جائعة، من يأكل في أحد المطاعم هنا، أم تعضين  
أن تعود إلى الفندق؟"

وجرعت من فكرة العودة إلى الفندق، لبس بعد المطعم قد  
يكون صاخبا، حكظا بالعرما = الذين تستطيع أن تسمى بينهم  
بعضها ساعة أخرى على الأقل، وقالت بسرعة:

"أحب أن أكل هنا في أحد المطاعم طعاما يونانيا".

وهبط السلم المعطى بالحشائش، وتبعت إلى راس  
بظرون اليهما، ينظرون إلى ليوناني لطوين الموسيم،  
وعروبه الاسكليزية، تماما كما حدث في كورنوال ذلك اليوم  
حين ذهبا إلى لوو لاسترجاع الشيكات، ولكن في ذلك اليوم  
شعرت دومني بهوران جميل يسري في شر يبينها، اما الآن  
هالهوران ما زال موجودا لكنه لم يعد جميلا.

## ٥ - نافذة القلب

كانا في طريقهما الى مطعم تقدم فيه الدجور المتوبة الى جانب السمك، عندما نادى أحدهم بول، ووجدنا نفسيهما محاطين بعدد من الأشخاص المرحين. زميلان من زملاء بول، بصحبة زوجتيهما. وكانتا سودتان باهرتي الاضاءة، ترتديان الملابس الحريرية، وتضعان على رأسيهما قبعتين بورود، وتمسكان باصابع مكسوة بالقفارات، خفيفتين كالنبت، تفتحتا بعيون سوداء ملابس دوامي العادية، ولاح أنهما صدمتا لأن روجة رجل أعماق هام تبدو هي ملابس بسيطة أتبه بملابس السائحات.

لكن الزوجين في الجانب الآخر، اتسما لدومني في سرور واضح، ولما أن انضم هي وبول الى جماعتهم لتناول طعام الغداء.

وأشار بول الى المطعم وراء صاحبه مباشرة وسأله بالانكليزية لان دوامي لم تكن تفهم ليونانية جيداً بعد "هل تنوي تناول الغداء هنا يا كوستس؟"

وأجاب كوستس في احوال بالانكليزية ذات لكمة، ان هذا المكان مشهور بتقديم الأطعمة اليونانية، وأنهم سيتناولون فيه غداً هم، وأولاً الى زوجته مؤكداً انتصار رغبته ذلك

أنها كانت تتمنى الذهاب الى مكان أكثر فخامة، والطعام فيه أجمل منظرًا، مع انه بلا مكهة.

وقالت انجيليكا لدومني وهما تتبعان الرجال داخل المطعم "استغرق كوستس وقتاً طويلاً حتي بات هزموماً، بسوات طوبله اريدت بصبر الملابس الرخيصة، والآن اذ أصبحت أملك الملابس الأمينة التي يسعدني الظهور بها، ياخذني للطعام في مكان شعبي متواضع، تفهم من طبعا، اليوسبي يجب أن يكون السيد".

وانقسمت دومني، فهمت جيداً شيئاً واحداً فقط أن بول يتوقع منها أن تظهر أمام أصحابه، والعروس المشرقة، وكان من الصعب عليها أن تعترف لنفسها أنها لا تجرؤ على معارضة رغباته. كانت له كبرياءه. وما هو كبريائها بالهقاربة؟ وتتبعته بعينها. وكان المطعم مكاناً يمكن أن يأسر دومني في أي وقت آخر، بصحبة أباس اقل حصولاً وصخباً. التقاعد حول المائدة المتواضعة من، بفيرران والجدران البيضاء تتدلى منها آلات الموسيقى الفولكلورية الشبيهة بالقرع الصلي. ومن كل الأرجاء ارتفعت أصوات المناقشات باليونانية وبطفايات الشواء.

واضطجعت بول دومني لتختار لنفسها، اللحم والخضروات واللحم، واختارت السيدتان الاخريان عصافير مشوية، وقرعت دومني لذلك هي سرها. ما كانت لتأكل هذه الطيور الصغيرة لو أن بول أمرها بذلك. وهو لم يفعل بطبيعة الحال، ولمحت ابتسامة على شفاهه عندما طبخت شرائح من اللحم لمتوي. ورغبت أيضاً ببعض البطاطس المحمرة، وهي الحال طلب بول ان تكون طازجة، وعندما عاندا الى المائدة، كان كوستس يطلب شراباً يونانياً أبيضاً، وقال بول لدومني

"لن يعجبك هذا الشراب".

وطلب مشروباً آخر مع السمك المدخن الذي قررا هو

ودومني أن يتسولاه مدلا من الخساء، وسهمت انجيليكا وميرها في طعام شهية، وايتسم كوستس وهو مرفع كاسه لدومني عبر، ثمادة، وهى كلمة بايويانية فهمتها في الحال. كانت تعني "كوسى سعيدة" وبتسمت لليوياني، اللطف وتمتد لو لم نطق عيناها بان سعادة لم تعد أكثر من مجرد كلمة بالنسبة اليها. ذكرى لحريتها، هي الاستمتاع بحياتها هي سلام في مدينتها فردان. بحماية عمها الطيب.

ثم خفق قلبها بعف، حينما سألتها انجيليكا بصوت مرتفع سمعه كل الجالسين حول المائدة عن عدد الأطفال الذين تنتمي أن ترق بهم. وحدثت دومني في صحن مملوء بالزيتون، الأسود ذي اللمعة الينفسجية. أطفال من بول!

واختلست نحوه نظرة جاسية قبل أن توجه انجيليكا بابتسامة. وتمتص باجسة مبهمة، وتبادلت ليويانستان ابتسامات لمعرفة. دعتنا أنها حجول لأنها انكليزية، وسرعان ما حولا دفعة الحديث إلى مسرحيات الموسم.

وقالت ميرها موجهة كلامها لدومني "يجب أن نقضي بول بأن يأخذك إلى المسرح، وأحدرك لأن المفاعد من حجارة، وبكسبي أخذ معي دائما وساءة هي الموسم، فالتت شاهدا مسرحية "بيكرا" وكانت رائعة".

وتنفست دومني، تصعداء إذ استطاعت أن تتفرغ لطعامها وهي تصغي لي وصف ميرها للمسرحية. وبينما كانت تأكل البيوظة اللذيذة، لاحظت الابتسامة لي تعلف بظرف شعبي بول وهو جالس يستمتع بأحساء القهوة التركية، وتدخين السيكارة الرفيع. لعبت دورها بما يرضه، وأرباكها مثاا الانجاب، فسر على أنه بسبب الحياء، وبدون شك أنه سر أيضا لنجاهلها بظرات الاعجاب بشعرها الذهبي ولون بشرتها الأبيض، من الرجال الجالسين على موائد قريبة.

وعندما انصرف بول ودومني للعودة إلى قنصلهما،

كانا محملاين معهما دعوة إلى بيت ميرها يوم الجمعة، وأخرى إلى بيت انجيليكا مساء الأحد.

وهل لها بول في المعصد المتجه إلى جناحهما في فندق هيلينك

"أحبوك! وهل لي كوستس أنه لم ير أبدا من قبل عيين كعبيك في مثل ررقه بحر اليونان".

ورفعت دومني هاتين العينين الرقائبي إلى وجه زوجها الاسفر، وردب نادب أنها هي أيضا أحب أصدقاءه.

وهجاء أمسك به من كفيها جعلها تحس بدفء يديه وعنفهما من خلال قماش لبلورة. وقال:

"لا تتحفظي معي نادسي بالقرصان اليوناني، اصغفي وجهي ولكن لا تكوسي دائما مؤدبة".

هالت فجأة.

"سأعلم، أمهلي يا بول، امحني وقتا".

قال ممقبا

"الوقت طريقة للهرب".

ووصلا إلى باب جناحهما، ودفع المفتاح في قفل بنيء من انصف. وخفق قلبها، إذ أدركت في تلك اللحظة أنه لن يظل بعيدا عنها مدة طويلة. كانت له رغبات الرجل القوي العاطفي، وقد تعلم أنه يمكن أن يكون بلا رحمة.

وفي اليوم التالي بدأ جناحها أشبه بمحل أرهاق عندما انتشر خبر وجود بول ستيهاوس في أثينا، وأنه جاء معه بعروس انكليزية. هاستمر وصول سلال الأرهاق، وغلب بقوكة والخلوى. وأيضا هدايا العرس للسيدة ستيهاوس الشابة. ولم تكن دومني سوى اسامة. لذلك لم تستطع أن تقاوم حب الأرهاق، وبدوق الخلوى والفتق والمب، مذهبي وبكها ذهبت للهدايا الأخرى من رجاجيات، الشراب، والبلاعق الصغيرة القضيعة، والاطباق المخرقة، وشرح لها بول



تقاليد اليونانيين في الترحيب بضيوفهم بتقديم الحلوى او المعشبات في هذه الاواني.

و بتسميت دومسي واستدارت في الحال لتدعس وجهها في باقة من زهور البقسج وقالت  
"احب البقسج".

وصمت بون، واتجه ناحية باب الشرقة لبشعل سيكارا. و ختلست نظرة نحو كتفيه العريضين، ورأسه الدكن، وبياها شعور خفي بأن ارهاق البقسج جهدة منه. واحتت ضرورة شكره، لكن تكلمت لم تسعها. كيف عرف انها ارهاقها المفضية؟ وهي لم تتحدث معه أبدا عن مثل هذه الاشياء، وهو لم يرها أبدا في غابات هرودس محمية فوق حوض البقسج في الربيع لكنه من يدري...

وفي الليلة السابقة لرحيلهما الى ابديلوس حضرا حفلة رافعة في يكت في ميناء أثينا. كان العركب الكبير مريبا بالأنوار الملونة، وكانت حلبة الرقص على السطح، تحت سجوم وقرقة موسيقية صغيرة تعرف بالالهان.

ارتدت دومسي ذلك العهد ثوب من الشيفون اليوناني ذي الرقعة الباهتة المبطن بالحرير. وعقمت شعرها الى أعلى وعقمت بالشيفون العسبي الناعم ارهاق البقسج الرقيقة. وهبن أن تخرج مع بون الى لحفنه، لف حول دراعها أسوارة فضية ذات مشبك من حجر ثمين فاخر لونه بنفسجي. وتحسست الاسورة بأصبعها. كانت أشبه بقيد العبودية.

أما بول فقال:

"أرددت جهلا في اليونان، شمسنا أدفات بشرتك وجعلتها بلون العسل، اخبريني، ألا أسحق قبلة على معدتي؟"

ورفعت وجهها أشبه بفتاة صغيرة مطبعة، وضحك هو بمومة وقال مازحا

"أنا تخافين ايوناني عنده يقدم الهدايا ليس كذلك؟"

تري ما الذي أخفنه؟

وبظنرت هي عيبه الخاسيين، فبعثت كما يقان نافذة القلب. وكان كل ما رآته ابتسامة غامضة، وانعكس صورتها في مقلتيه، كانت له عيان بفتان. ومثل كل شيء آخر فيه، كانتا جميلتين وجنودشتين ولو لم يكن الروح ندي كانت مخافة، لكان حتما أن تعجب به في سترة السهرة البيضاء التي ارتداها فوق قميص حريري أبيض مع رباط عني داكن، هكذا فكرت دومسي، وهما يخرجان معا من جديهما كأي زوجين سعيدين في طريقهما الى سهرة مريحة.

وكانت دومسي تحب الرقص. تعلمته في المدرسة الداخلية وكان تخرج بصحبة باري سرهص مرات عدة طرأ باري على يالها حينما شعرت بضغط يد بون وهما برقصان في صمت على ظهر اليخت الساحر. كانت تتبادل مع باري طوال الوقت الهمسات والضحكات، وهما يرقصان في نادي شطى. حيث كانا يلتقيان عندها كانت تسجل من مدرسة بعد نظام بمساعدة زميلة لها وكان ذلك سرهما الساحر "بروماتيكس" هذا الهداية.

"أنا تجيدان الرقص لم تكن لدي فكرة أنكم تقيمون حفلات كثيرة في قرطاج".

"لم تكن لدينا الأموال الكافية لذلك. تعلمت في مدرسة الداخلية".

"ولكنك تبدين معتادة على مراقبة رجل أكثر من مراقبة هنة. وقد لاحظت ذلك من قبل".

وكانت في لحفنه ربة حضور. وحق قلبها خفة لا يستطيع غيره أن يحركها. كأنه تيار كهربائي يسري من كيانه الى كيانها. وهالت

"نسيب أن لي ابن عم، فعنده كان دوغلاس يعود الى البيت، كنا كثيرا ما يرقص هي، لصالة على أنغام الغر معون القديم".

"٥٦" دوغلاس . أعتقد أنك كنت تهتمين كثيرا بهذا الشاب ."

وسكنت الموسيقى، ووضع أحدهم في يدها كأسا من الشراب اليوناني، وخلال الساعات التالية رقص دومسي مع رجال آخرين، بينما أختفى بول وقال لها أمريكي شاب "بعض اليونانيين يلعبون الورق هي إحدى الخرافات هي بداخلهم، أنهم يحبون لعب الورق".

كان ذهنها شاردًا وهي تفكر في ابن عمها . وتساءلت أفكرها هل حقًا يعتقد بول أنها سزوجها لاهتمامها بدوغلاس بأكثر من مجرد علاقة العراة؟ يا شعراة . وبالحدادة المصنفة من جيبه لظلمة أنها لابد أن تكون رقص كثير، مع رجل كانت تهتم به!

كانت تهتم به . هل يعني ذلك أن حب باري لم يترك قلبها أبدًا؟ بله من حب يائس وهي التي لم تكن لديها أية فكرة عن مكانه لكنها تعرف أنها لو التقيا من جديد، فلا بد وأن يكونا كغيرهم لأنهما لم تعد دومسي ذات.

وضاعت دومسي بالرغم من ولدت سلمات ضبابًا، سلكته لتحذ نفسها فوق سطح آخر نسخت . وقعت وحيدة أمام السور، وداعبت سمكة شعرها ووجنتيها وانعكس على القمر فوق سطح البحر، وألقى ظلاله على ساريات بمراكب الأخرى الرسية، وقلوعها وأحبت أن في صوت هدير المياه حرا له صدى في أعماقها . ورفعت عينيها نحو النجوم . ونساءلت عن مستقبلها مع بول وارتخت عندما لمحت سركا يفر في الفضاء . بينما ارتفع في هذه اللحظة صوت عميق يقول "تبددين بعيدة مثل هذه النجوم يا دومسي".

أقبل بول في خطواته الصامتة، ووقف وراءها ولم تلتفت دومسي وأحسب بانفسه تداعب شعرها، بينما استقرت يدها في قوة ودفع على كتفيها . وظلت في مكانها بلا حراك

قلبها فقط بسمن وشفتها السفلى تهر في عصبية . وهمس بول

"أنت تحبين الاستمتاع بالوحدة بين الحين والآخر . أليس كذلك؟"

وأومات برأسها . فعاد يقول بصوت هادي .

"ستحس الجربة يا دومسي، بها مكان لمن يعشقون بحرية والطبيعة البكر . اصفي إلى البحر، به يترجم بأغنية عذبة . سأألفه

"هل تسمع البحر من بيتك؟"

"من بيتنا يا دومسي".

ورفع يديه عنها، واستند على سور السطح وعندما نظرت إليه كانت عيناها تهرمن وتتحركان كعيني قطه في الليل . وكان شعره مجعدا، كان يشرب ويلعب بورق . وأهست بتقص عصبى في حلقها لما لمحته فيه من لاستهتار . وقال بسخرية لماذا تخافين مني يا صغيرتي إلى هذا الحد؟ أجابته:

"أليس من الطبيعي أن يخاف مالا نفهم؟"

وافتر ثغره عن انفسامة وهو يقول

"صحيح اما معتر اليونانيين لا يسهل فهمنا اذا غلب ما محس به عامس . لكنه في أي حال اما النار في ابركا و الجليد تحت البحر ولكن الشيء نفسه يمكن أن يقال عن الانكليز . أنت يا دومسي وأنت واقفة هنا هل تعتقدين أني لا أجذك لغرا؟ دومسي الغناء ذاب الاسم البادر الجميل الذي يناسب شخصيتك . دومسي . . . التي ستحصل على انتقامها عندما أبرهن أني تسيطر اد أخذها لن تعطيني اياه!"

ورفع رأسه إلى السماء، وضحك في وجه القمر . وهمت بأن تبعد عنه، ولكنه بسرعة ودهاء مثل النمر، قيد معصميهما بيد واحدة، ورفع وجهها نايد الأخرى، وقال وعيناه تشعان

"يا عاصفتي الصغيرة، أجل، سأحصل على ما أريد" وهرونت بعيدا عنه، وهبطت السهم لتعود وسط الساهرين.

جلبت في العربة اسي اغتصمتهما الى الصدق متباعدين. لم تنظر اليه في مصعد، وهي واقفة ببرود في ثوبها ليوباسي. وقد تجعدت عيناها كحجر البيرور في يدها اليسرى. نبادلا في غرفة الاستقبال تحية المساء، ثم دخلت دومي عرفتها، وأغلقت الباب بصوت مسموع. وهمت بأن تغلقه بالمفتاح، لكنها تراجعت، فاعلاق الباب سيكون اعلايا صريحا عن الحوف الذي في قلبها، وهي لا تريد أن تسمح بول هذه السعادة.

كان دهر دومي مشغولا، فاستسلمت ليوم قلق مليء بالأحلام المضطربة غير أنها لم تستطع أن تنبئ ما دارت حوله أحلامها، ونهضت فجأة لتجد وجهها عرقا في الدموع. وجلست في سرورها تتحسس دموعها. حينئذ لمحبت من خلال بواحد غرفته نومها النسبة لهاب أحمر ترتفع وتساوت خفقات قلبها، ورفعت لأغطية عنها، وهرونت ليري مصدر هذا اللهب.

وفتحت باب الشرفة، وولفت في الخارج بالمضيض نوما، تحديق في اتجاه مصدر اللهب. كانت مبعثة من يمسء. وسمعت أهوات بغير عرياب الاطفااء لكنها لم تنله الى صوت بابها وهو يفتح ليأتي بول ويلحق بها الى الشرفة. وسألته في تلق.

"هل يمكن أن تكون النار مشتعلة هي يخت "الساحرة القضية"؟ يا للخسارة إذا كانت هي. انه مركب جميل! أرجو أن يكون أمثالك قد خرجوا بأمان."

واقترب من سور الشرفة، وأطال النظر بحية المياء، كما لو كان يقدر مكان وجود يخت أصحابه بالضبط. وصاح "كلا، بها ليست "الساحرة القضية"، فهي راسيه في مكان

أبعد. اللهب شدد جدا فالأغلب أن تكون هذه سفينة شحن"

كانت النسبة تلقي ظلالها الحمراء عبيها وبدا وهو مقبل على دودسي في بيجامته السوداء الحريرية. بقدمته الطويلة ألقه بالشيطان وتمتم شيئا باليوباسية، حينها كانت هي تتراجع في اتجاه غرفتها وأبقت صرخة صغيرة عندما تبعها، وأغلق باب الشرفة وقالت وهي كارهة لرجعة صوتها "أرا... أنا سعيدة لأن سر ليست في "ساحرة القضية"."

ولم يرد. وأرغمت نفسها على أن تنظر اليه. واقفا يتأملها هي قبضت بومها فجعلتها نظراته تحس كما لو كانت عارية وقال.

"أتهمني ذاب مرة أسي اشريك يا دومي. هل تعتقدين ذلك حقا؟"

و تنقلت ريقها بصعوبة. وأحست اضطراب قلبها. وقالت بأفعال كأن هبطت يدورها الى ذلك.

"هل تعتقد يا بول أن هذا هو الوقت نتجمع الفوائد عن تمريرك تلك الشيكات؟"

فالتقط أنفاسه، ثم تحرك خطوة مقتربا وأطلق ضحكة موحشة وقال.

"نعم يا عزيزتي، الوقت حان لأن تكفي عن لعب دور الزهرة المكتملة. ضقت درعا بذلك، خاصة وب أعلم أن لجمالك البارد وكبرياتك وجها آخر."

صاحت برغم الدغر المستيد بها.

"تريد أن تدل كبرياتي، اليس هذا صحيحا يا بول؟" وتسمرت في مكانها، وبحركة سريعة خاطفة مأكرة، أخذها بين ذراعيه وهاومت بعنف لتخلص منه واسنقت تردد "دعي يا بول."

ووصب أصابعها الى مكان الدبة واني شعره المجعد... وعادت تقول



أنا، أنا ساكرهك .

قل وبظرة تملك هي عينه

ألم تكرهيني منذ البداية يا عاصمتي الصغيرة ؟

وحننها بين ذراعيه وأعلق الباب خلفهما . كانت كنفاه العريض من أشبه بجناحين يحتويانها وهو يضعها فوق السرير . و ستبقى ذمت دومني قبيل الحجر وبحرص شديد اسحبت وهرعت عندما تمتد شيئاً في يومه ، واهتر هتلاً ، لكنه عاد فاستغرق في النوم ، و بتعدت دومني كما لو كانت تهرب من لمر .

وعندما وصلت إلى عرفتني وضعت أزارها فوق كتفيها ، وجلست بجانب السعدة ، تراقب أصابع الحجر الوردية . كان المنظر رائعاً لكنها شاهدته بحسرة .

## ٦ - البيت وقمة الصخرة

لم تسب دومني أبدا لحظة وقع بصرها على أديلوس ، التي كانا في طريقهما إليها في مركب بول ، مع بخار شاب من سكان الجزيرة يمسك بدفة القيادة ، وآخر يقوم على خدمتهما . ظهرت الجزيرة فجأة وسط البحر الأبيض لأررق . واضحة تماماً وسط أصواء بلاد اليوس الصافية . وأمسكت دومني السور بيديها حيث وقعت . كانت أديلوس محتلة في الماضي من الإيطاليين والرومان .

وكان اليوسايان يتحركان بسرعة تنفيذ أو مر بول . ولا شك أن كل سكان الجزيرة يحترمونهم ، بل ويحبونهم لأنه بنى لهم مستشفى ، ومدرسة لابنائهم فيها حمام سباحة وملعب ومكتبة . ولم يكن بول هو الذي أخبرها بذلك لكن بجيايكا وميرها كانتا مصدر هذه المعلومات .

ووقف بول بجانبها متكئا على السور ، قميصه الأبيض مفتوح ، وبظرة الشمس تخفي عينيه ، وشعره ، لأسود ازدادت تجعداته بتأثير هواء البحر لكن دومني كانت تشعر بهرة في أعصابها مما ترال تحت تأثير ما حدث منذ ثلاث أيام فالتاء تلك الأيام في البحر ، احتاجت لكل شجاعته لتتعامل معه بصورة طبيعية .

وقال بول

"ما تقترب من الجزيرة. هل أنت مشتاقة لرؤية بيتك الجديد؟"

كان يعرف جيداً ما في قلبها أنه لن تكون للحرية شوق طيور البحر وهي تتطلق مع الرياح، وأجابت

"أتخيل بيتك فوق قمة 'صخرة السر' بينا ذا شأن. هل عاشت فيه أسرتك منذ سنين عديدة؟"

وبعد بول ذخان سيكارة وقال،  
"بهاء جدي هو وأخوه 'نوكاس' مؤسس شركة خطوط ستيفابوس للملاحة. وأنتم حركة التمرد تعرض العمل لهرات خطيرة؛ شأن كل شيء في اليونان، لكننا بمرور الوقت تغلبنا على العقبات، وسارت الأمور على ما يرام."

وظل صامتا دهيقة أو أكثر، وبطرف عينيها لمحتة ينطلع نحو الجزيرة المقتربة عابسا، ثم استطرد

"البيت الذي سأخبرك فيه، ليست له جذور عميقة في الماضي مثل هردن، ولكن يمكنك أن تقوي عنه أنه الرمز الشامع للاستثمار على الطبيعة بوعرة أن يرضي اليونان حالياً ما تكون فاحشة، ولحياة صعبة بأسسبة للكثيرين من بناء وطني."

قالت لمجرد الثرثرة:

"ونكن عشيرة ستيفابوس حققت النصر."

وأحسست بظفرته الفولاذية وهو يقول،

"حققاء، بالعمل الجاد، لم يحدث أن تورط أحداً في السرقة."

وبسمة ذات مغزى قالت وهي تشعر بشيء من الزهو لقدرتها على أن تلقي سهامها مثله.

"لا أحد أبداً يابول؟"

وتاملت أمواج المحيط المتلاطمة بلا نهاية، بحث

أشعة الشمس الذهبية كسها الألم والفرح ترتفع ثم تهوي لتبدأ من جديد.

وهمس زوجها بخاسبها

"البحر يحوي كل شيء، الحياة نفسها، تجمع الصخب والحيوية والسلام."

هالت بمقبة

"البحر قاس، أنه يأخذ منهم يعطي."

والتقى ببقايا السيكر في البحر وقال

"القسوة موحودة هي كل شيء، حتى هي الفرج، وعليها أن تتقبل ذلك."

وعاد يقول

"أعرف أنه من لعسير عليك يا أسيرتي الخالعة أن تواجهي حقيقة أن الساعات التي أمضيتها معي تلك اللينة لم تكن بغيضة تماماً."

حاولت التخلص منه وهي تقول

"دعنا لا نتكلم في هذا الأمر."

لكنه تصك بأسرها وقال وهو يهرها

"أنا أتح في سماع ردة."

ورفعت رأسها وو جهته بعيداً نتماح بريقاً أررق وقالت

"هذه الساعات، كانت كما أردتها أنت، أجل يابول، ولكن قلبي ملكي."

قال وعيناه في عينيها

"لعلك تمتعدين أن روجنا علاقة مستبدة، حسناً، دعيني أخبرك يادومسي أنك إذا عشت مع رجل تخبيمه، فستكتشفين أن هناك وقت لنصرع، ووقت لتفارب ووقتاً للتباعد. الحب والكراميه ليسا عرييين أحدهما عن الآخر، أن ليسالة وكبح الجراح لا وجود لهما إلا في الكتب الخيالية."

قالت

"أب أنوع ببالة ببول، به حيل الجراقة بعيمها، لعد لقيت  
مك كن ما توقعت عيها أقسم على طاعتك"

قال نهضة تحذير

"وتذكرني أن اشرف كان ضمن ما أصعب عليه"

قال وبرياح مدعب، حصالات شعرها، وقد امتلات عيناها  
برهه سماء بيوس ومحيطها

"من المؤسف أنك أب لم تتذكر ذلك ببول"

واوتر ركن فم بول بعصبية وهو يخذق فيها، وحرك  
عيناه فوق بيورتها، لمطررة لمسوردة من جريرة كربت والتي  
كانت برياح تداعبها وكان شعرها، منتظير يحيط بوجهها،  
ويضفي على وجنتيها ضاء ورديا

وقال بول بتهكم

"أهل أبديوس سيظنون أنني أسعد رجس على الأرض"

كانت بسرعة

"أتمنى لو كنت امرأة عادية"

وأطلق ضحكة عميقة وقال

"تتمنين ذلك حقا؟ سواء عادية، أو جميلة كنت سظنين  
دومني"

وكانت تسمعه، ولكن اهتمامها كله كان مركرا على الحركة  
التي لاحظتها بجانب مركب، وقالت مشيرة نحو حركة  
المبة

"هل يوجد سمك القرش في مياه اليونان؟"

وأدعى ليتابع الحركات التي كانت تموج ثم تدور وتقفز  
ودراعه منتف حول حصرها

"به درفيل"

لمرة الأولى ترى درفيل، ابهجها ذلك، واستدارت  
وابتسمت لبول في شرق  
قال بول

"اسماك الدرفيل تأتي إلى ساحلنا ويستعملين بمتعة مرافقتها  
أثناء إقامتك هي، ليبب، نقائم على ربوة لاسر"

وضحك لمبظر تحركات الدرفيل في البحر، ثم سألت

"أين بقيم باستمرار هناك؟"

"ليس دائما"

"أعتقد أن لأعمال محتم عليك البحر"

"أجل، سأقوم برحلة بعد شهر قليلة"

وكان اهتمامها كله موجها إلى الدرفيل لكن شيئا ما في  
لوحته جعلها تنظر إليه، ولم يكن من المستطاع قراءة عينيها،  
لأنهما كانتا حنف نظرة الشمس لكنها تساءلت إذا كان  
يعتبرها مجرد ربوة، وفي الوقت المناسب سيتركها تذهب  
وأحسب بشي، ما يقوص في هسي، هل هي ملكة فقط طالما  
أن ذلك يروق له، تعاما كما كان يمسك بها هي تلك اللحظة  
بذراع قوته وأصابع صلبة تفيد معصمها، ووجتار مركبيها  
مياء أبديوس، لأنها كانت متجهين إلى المرفأ الخاص دهن  
ممتلكات بول لكن دومني استطاع أن ترقى في الميناء  
مراكب الصيد الملونة ولصارل البيضا، ووصل إلى مسامعها  
صوت صياد شاب يعني، وظن صوته يلاحقهما حتى بعدما...  
وهي اهتمام سأت

"ماذا تعني كلمات هذه الأنمية؟"

ورد بول ورنة سرور في صوته

"أنا يعني لحيبتك أنني يتعدى أن يتزوجها عندما تستظر  
أخواته... ليست الأنمية عاطفية على المحو لدي توقعته، ليس  
كذلك؟ ولكن هذا هو التقليد في اليونان، إذا كان الابن هو  
العائن الأساسي للأسرة فيجب أن يساعدنا حتى تتزوج  
أخواته"

وهمست دومني

"كم هو صعب على الشاب، المسكين، لا غرابك أن صوته



يبدو حزينا \*

قل بول بجفاء \*

"أه، لكن فتاته حبيبة، وهو يعرف أنها ستنظره، وأن قلبها سيخترن الحب" \*

واهتمت دومني لجمال الكلمات، لكن هل يريد دائما «الانتظار خلاوة» الحب؟ من هذه الفكرة بغير بكل تأكيد عن «عاطفية» ومع ذلك رغم بول أنه لا يؤمن في الحب \*

وكان المرء محاطا بصخور قاتمة، والحياه الزرقاء سباب فيه في رقة ويتكسر عند لفافة الضيقة. وفكرت دومني في الجو العاصف، وكيف أنه لابد أن تبدو المياه وكأنها تعلو بين الصخور في هذا العمر الضيق فتصعب الملاحة \*

ومن شاطئه رأت أبراج الصخور ترتفع نحو السماء وتطير نيمي أعشاشها فيها وتطير بيضا وأعشاب البحر المرهقة تكسوها \*

وربما بجانب صخرة كبيرة، ولاحظت دومني أن الشاطئ يتكون من مجموعة صخور، تفصلها «المياه» وبحشائش تتلوى فوق الرمال الشاحبة كالثعابين. وتعدو بجانبها بعض الشجيرات لصهيرة لقي تحميها من الشمس المحرقة \*

ووقفت دومني تتلطف حولها، وتتساءل عن كيفية الوصول إلى البيت من الشاطئ. ولم تلبث أن اكتشفت «طريقة» فقد أقبل أحدهم يحمل بطارية كهربائية كبيرة، بولها ليول وهو يمتص. وتكلم معه بول بسبوتانية، مشيرا إلى المركب، ومعطيا أو مره بأسسبة للحقائق. ثم قاد دومني عبر فتحة كهف واسع \*

وقد لدومني \*

"هذه رمن بعيد كان هنا مخبا للمهربين، إنه يوصل مباشرة إلى البيت. وهو آمن تماما، أن حركة المد والجزر بطيئة هنا، ولا تتبدد إلا عذوب يكون نظف سبيث. ومن الحكمة

حسب الاعتقاد عن «شاطئ» \*

وضحك دومني قائمه

"يا لها من طريقة مبتكرة للوصول عروس إلى بيتها. لكنها سبب شخصية نقرمان عيك" \*

وبردد صدى كلامها في الكهف. ونظرت دومني إليه وهما عبران البحر الصخري، رجل غريب، جتعب، يضحك مثل صبي صغير \*

وقال \*

"الأرض ترتفع، هل تحس بها؟ سصل حالا إلى باب يفتح على السلم الذي يقود إلى الحديقة، هذا العمر السري يعجبك أليس كذلك؟" \*

ووافقت بابتسامة قاتلة

"أجل، تعرف أنني خيالية" \*

قال باعتقاد وبلهجة الخاصة.

"هذا شأن الإنكليز" \*

وبعد دقائق أصاعت البطارية بابا خشبيا، يفتح على سلم حجري، وقال بول مهذرا:

"من فضلك، كوسي حذرة، السلام متأكدة بعض السمين، والآن احترسي، وأمسك بها عندما أوتكت أن تفقد توازنها، ولمدة لحظة، هي الضو الخافت، التفتت به واحتبست أنفاسها واعتقدت أنه سيعانقها، لكنه أخشى سبيلها، وتابعت صعود السلم، محاولة ألا تبدو متعجلة، وتبعها في صمت حتى وصلا إلى الخارج، حيث يوجد مهر يخرق حديقة تعلوها شرفاب فسيحة، وكانت أشجار «أسرو تملأ المكان بألوانها الخضراء والذهبية، وأشجار القفل مليئة بالعصافير المفردة. وقال بول وهو ينحني ليجمع باقة من انياسمين ذي «الرائحة العطرة ويضعها في شعر دومني

"في الجانب الآخر من البيت غابة صوبر" \*

وتدلى الياسمين من شعر دومني وأحاط بوجهها، وملا  
برائحته أنفها، لكن ما معنى أن يتوجهها بورود الحب في تلك  
بحديقة سي بدت معنعه فوق البحر، كأنه يريد أن يقول لها  
بدون كلمات، أنها هي تلك الليلة ستكون لأول مرة وحدها معه  
في بيته.

كان البيت فوق قمة لصخرة، معزولا عن العالم، وكان يبدو  
عزواً في عيني الهدأة التي جاءت إليه عروساً. كانت جذراه  
ذهبية، مع وجود سلالم تفود إلى شرفة واسعة رصت حولها  
المقاعد والأرائك والموائد، وعدد هائل من الأواني تنبئ فيها  
أنواع مختلفة من النباتات ومن فوق السور لم ير دومني  
سوى هوة سحيقة عميقة يلها بحر والصحور. وترجعت  
لاهثة بعض الشيء، ثم استدارت لتواجه بول وهو يقول وقد  
مد يده السهر، إليها:

"تعالى... دعيني أريك البيت".

ودهب معه، وما زالت متوترة من منظر الهوة، ودخلت  
البيت ويدها هي يده من خلال باب راجي، وقال وهو يشير  
في اتجاه غرفته الكبيرة بمقاعد الوثيرة، ومراياها لأثرية  
القديمة قال:

"هذه هي غرفة الاستقبال".

ثم استدار ناحية المدفأة الحجرية وسألها:

"هل أعجبتك؟ الليل ص بارد والامكثير يحبون اسار في  
المدفأة أليس كذلك؟"

ورمته بنظرة طويلة، فجأة بدا لها أكثر غرامة من أي وقت  
مضى وأومات برأسها بسرعة رداً على سؤاله، ثم أدارت  
بصرها بعيداً، إلى الجانب الآخر، حيث رأت سطحاً خشبياً  
مصنف دائري يقود إلى منصة يرتكر فوقها بياض، كان سواده  
لامعاً، وكان يبدو رائعاً ورفيعاً نظراً دومني كان البياض من  
وسائنها الرقيفية المفضلة، ورغم أنها لم تدرس العرف،

لا أنها كانت ذات أدن موسيقية، وكان عنها يحب أن تعرف  
نه على البياض القديم في فردان.  
وهمس بول:

"هل أعجبتك يا دومني؟"

وأومات، ورغب في لحوس أمامه، وأن ترفع عنه الغطاء،  
اللامع الذي يحجب عالماً كانت تستطيع دائماً أن تسي منه  
بعضها.

وقال بول: أمه لك.

واستدارت بنظر إليه سعيداً مرسلتين وهي تقول:

"لي أنا؟"

ابتسم قائلاً:

"جى. به من ألبا منذ ثلاثة أسابيع، ما هذه المصصة فكنت  
لاستعمال جدي الخاص، حيث كان يوجد مكتبه المهيّب. وفي  
الواقع فإن هذه الغرفة كانت مكتباً، وهذه انقطع من الأثاث  
جمعتها من أركان غريبة في البيت وأمرت بتنظيفها ونظفت  
حتى استعادت لمعانها، وهذه لأبسطة من جلود الذهب كانت  
في غرفة لمختلفات أيام روحة أبي... أه... ولكم لا  
تهتمين بهذا كله".

ولمست معصمة بحب، حيث اشعر لذي يحيط بالساعة،  
وعالت:

"بالعكس يا بول، هذه الغرفة رائعة، ولكن أخبرني، ما هذه  
الكلمات المحفورة على حجر المدفأة؟"

وسار نحو المدفأة، وتبعته، ولاحظته وهو يمر على الحروف  
المؤاماة بأصبعه قائلاً بصوت خافت خال من التعبير  
"هذه الكلمات تقول "تحذروا قوى الظلام مثل أبوسو".

همست وهي تفكر في عجز بول عن مواجهة الصور الشديدة،  
أو أشعة شمس الميومان التي يصبها.

"أبوللو كان رمز الضوء".

وتذكرت أنهما استمتعا مرات عديدة بمحاضات الشمس على شاطئ يبعد عدة أميال عن أثينا، حيث يدعى وجهه في الرمال، ويترك بقية جسمه للشمس التي توجه الطعاب لعيبه ما لم يحمها خلف النظارين وأحست دومني أن لذلك علاقة بانفوس الذي تعرض له، والذي نتجت عنه تلك الندبة المخيفة فوق عينه اليمنى، وسألته "متى سأرى أختك غير الشقيقة؟"

وكانت قد فهمت من أحاديثه أنه يحب هذه الأخت كثيراً، لكنه لم يكن على وفاق مع أمها، وكانت أمه قد ماتت وهو في الرابعة من عمره، وأخوه ماران طفلاً، وبروج ولده بعد ذلك بسنوات، وكانت كدرا شجرة هذا الزواج غير السعيد. وقد مات ولد بول فجأة ثم امرأة قلبية، بينما كان يقود يخته في البحر الأيوني، وكانت زوجته معه فعرب عندما فقد اليخت مواريثه وهو تحت قيادة رجل فارقته الحياة.

وكانت كارا تعيش مع عمه بول، لأن مسؤوليات العمل كانت تبعده كثيراً عن أسديوس، وحططت دومني لأن تستضيف الفتاة خلال عطلات نهاية الأسبوع، بعد أحست غريباً بأنها ستكونان صديقتين.

وقال بول،

"سأذهب غد، نرى كارا والعمة صوفولا، والآن ليكمل جولتنا في بيتنا، الجديد ياسيدة ستيفانوس".

بيتها الجديد كان مليئاً بالمفردات، والأبواب غير المتوقعة. والأثاث الداكن، والابسطة اليونانية المصنوعة يدوياً، وأخيراً الغرفة التي كانت ستنام فيها الغرفة المجاورة مباشرة كانت غرفة بول، وقد استقرت حقائب كل منهما في، حجرتها، وذهب هو ليأخذ حقيبته الصغيرة الخاصة، وظهر من جديد قائلاً أنه سيهبط إلى الطابق السفلي ليعمل ساعة أو ساعتين، ووقفت تختبر بأصابعها المشغل

الأيطالية الجميلة الموضوعة على مائدة رستها. ثم قالت "شكراً يا بول على اليبس".

وعكس لها المرأة صورتها، كان طويلًا غارعا، وكان رأسها بمحاذاة قلبه، وجديها نحوه وهو يطوق خصرها، وهمس في طبقات شعرها الدسم حيث كانت باقة الياسمين مازالت معلقة وقد انتشر شذاها

"الآن يا دومني تبدأ حياتنا معا بالفعل".

والتفت نظراتهما في المرأة، ودب الاضطراب انقديم في أعماق دومني عندما انحلت نظرة الرغبة هي عينيه الناصبين.

ثم دار في غرفتها وبألفها

"هل أعجبك مددك؟"

قالت وهي ترمش.

"به جميل جداً".

وأغلق الباب خلفه، وببطء فارقها التوتر الذي كان يستبد بها كلما لمسها، ونزعت الياسمين من شعرها، وخبأته في أحد أذراج حاندة الرينة، ثم تناولت فريسة شعرها، وكان شخص ما قد أخرج حفاثيها، وأخذت تمشط الخصلات لتخلصها من بقايا الياسمين وسمعت طرقاً على الباب، ودارت في ارتباك، وهي عاجزة عن التفكير في الكلمة اليونانية التي تعني "أدخل" وأخيراً قالتها بالانكليزية، ودخلت ليت، تبتسم بطريقة الجادة، وتمسك أن تعرف اندي ماران غريباً عيناها، وقالت.

"شكراً يا ليتا".

"أسي تحت أمرك حتى تختاري وصيفة ياسيدتي".

وعذلت ليتا غطاء السرير المزدوج، ووضعت قميص نوم

دومني في مكانه، وقال دومني وهي ترفع شعرها

"أوه... لا أعتقد أسي بحاجة إلى وصيفة... لقد



اعتقدت، إلا اعتماد على نفسي، ويبدو لي أمراً غير مستساغ أن  
يعني بي من رأسي إلى قدمي".

وبدت ليد مذهولة بعض الشيء لكلام سيدتها الشابة  
وقالت:

"عليك يا سيدتي أن تجدي في القرية فتاة يعتمد عليها، وهي  
بدورها ستقدر لك حنارها بخدمتك، أن باتنا بشأن على  
الطاعة والمساعدة، وسيدة في مثل مركزك يجب أن تكون لها  
وصيبتها الخاصة".

وأغرقت دومني في الضحك وقالت:

"حسناً جد، حسناً جد، ولكن إذا كنت حريصة إلى هذا الحد  
على أن تكون لي وصيفة، هولي أنت مهمة البحث عن واحدة.  
انكم يا معشر اليوسانيين أكثر الناس تصهيراً وعباداً، ألستم  
كذلك؟"

"نحن كذلك يا سيدتي".

وبنست لينا من جديد وهي تحبى التلذذ وريقات  
الياسمين، لامتاترة أمام عائدة الريمه واحدة واحدة، وحملت  
دومني في شعرها الأسود الناعم، وتساءلت عما إذا كانت  
ستعتاد يوم طرقت اليوسانيين في الترتيب، فالحياء في فردان  
كانت سهلة للغاية، وغير معقدة. لم تكن هناك مشكلة خدمة،  
فقد كانت دومني تقوم بمعظم العمل بمعاونة عاملة تأتي  
يومياً، وسألت دومني:

"هل استمتعت بما جازتك مع ياميس؟"

وردت لينا برفقة:

"فمت بمساعدة والده في عمله في مررغته الصغيرة. لقد كان  
عملاً عن حب، وهذه اجازة هي حد ذاتها".

وظلت دومني تفكر في كلام لينا بعد انصرافها، كان حقاً  
ما قالته أن الانسان لا يضيق بواجب أو بتقصية، إذا كان  
الطعام عن حب - وبحماسة - اتخذت مظهر الشجاعة،

مقدب دومني ما اقترحه بول، وذهبت للتعرف إلى بيتها  
الجديد. كان البيت من الداخل عالياً بأخشاب السرو، وأخشاب  
الأرز، ولكن الرقص واللامدي تركت بصماتها على كل شيء،  
هناك كتب، جراء منها، ومن خلال إحدى النوافذ، رأت بحراً من  
شجر الصوبر وقد غطى الغابة ضباب بمفسيجي وكانت للصوبر  
رائحة نهضة امتلأ بها الجو.

وهبطت دومني السلم إلى الصالة وهي تشعر بوحدة غريبة  
في ذلك البيت الكبير المنعزل عن العالم، الذي تحيط به  
همسات المحيط والصوبر، وفتحت أبواباً كثيرة، وبظلمت من  
خلالها إلى العرف، لكنها كانت حريصة على تجنب العرفة التي  
كان يعمل فيها بول، وكان قد أرها أياماً وهما في طريقهما  
إلى الطابق العلوي، وكان ذلك سبباً لارتياح دومني إذ عرفت  
أنه سيقضي جزءاً من كل يوم في هذا المكتب.

وأثناء اشغاله في عمله، بومسها أن تكون حرة، حرة في  
أن تكتشف الجزيرة، وأن تسبح وكانت تعتقد أن ذلك  
سيساعدها على مواجهة الأمسيات والليالي. وجاء لها ياميس  
بالشاي والحلوى وبعد تحدثت معه ليضمة دقات، خرجت  
إلى الشرفة الكبيرة لتعرب شيء. ومن ذلك المكان كان  
الأفق يبدو أتمه بقوس فضي يلقي سهاماً من الذهب تحت وهج  
الشمس العاربة وكان منظرها أحببت به أنفاس دومني ثم بدأ  
الظلام يرخف، وعادت إلى الداخل، وصعدت إلى الطابق العلوي  
لتأخذ حماماً ولترتدي ملابس العشاء.

وكان العشاء يهدم متأخر، في اليوس، لذلك كان لدى  
دومني وقتاً كافياً لأن يستحم على مهل، وأن تسترخي في  
الحوض الكبير الذي يكاد يتسع لتسبح.

وكانت عرفة في بهجة حمامها، عندما فوجئت ببول يهتف  
لها:

"لا تعصي ليلتك كلها في الحمام يا عزيزتي".

هاجائه

"سأكون معك بعد قليل" \*

وعندما جسا الى الطاولة بعد قليل أشاح عنه بوجهها،  
وتشغلت بمشاهدة الأزهار في الزهريات وقابها ماسة  
"أحب رائحة الأزهار والاشتباب هنا، هذه العرفة كلها في  
لواحق جميلة" \*

قال مارحا وهو ينظر اليها

"نقطة الصنف في يادومسي، أن لي عينا يومية في اكتشاف  
الجمال" \*

سألت في صوت خافت

"هل هذا هو عذرك الوحيد يا بول؟"

أجاب وقد فهم مرادها بسرعة \*

"ليس تماما، لدي سبب آخر، ولكني لا أموي أن أحرك عمه  
في هذه المرحلة" \*

وأحست بقلبها يكاد يفترق صدرها وهو ينطق بهذه  
الكلمات، ما الذي كان يعنيه؟ إنه أرادها روجة لأنه أحبها؟

"أيتها الطفلة، هل لك أن تهدي؟"

موسى بهذه الكلمات السيدة ذات العيون الخريبتين، التي  
جلست على مقعد من الخيزران، تشتغل لدائلا، كانت  
ترتدي المواد، من الغطاء الصغير فوق شعرها برهادي، الى  
أطراف الحذاء النمس في قدميها، وكان لراديو الصغير  
الموضوع فوق المصعدة مجاورة لها يشير إلى أن مسوات  
الحذاء الثلاث الأولى على روجها قد مرت، وأنها تستطيع الآن  
أن تتمتع ببعض المباح الخفيفة \*

وقال كارا سيفيوس معترضة وهي تقفر \*

"ولكنها باعمني صوفيولا سيصلان في أية لحظة" \*

ثم تدلت من سور الشرفة لحديدي، وبذلك كانت تستطيع  
أن ترى سيارتهما \* وكان وجهها الذي نعتته اشهر من فعل  
التعبير، وهزت القمة رأسها عندما انصرفت عما كانت  
تطرزه \*

كانت على ذراعها كارا علامات حمراء، أحدثتها  
بأظفارها وفكرت العمه في أن بول يجب أن يعرض أخته على  
أخصائي أعصاب \* ومرت كارا بجانب مقعد عملها

كالخصال الأسطوري "بيفسوس" ذي الخصال، هي اجاء  
سلم وهي تردد  
"ظهرا... بهذا قداما..."

وهحب بسرعة باب صغيرا يؤدي الى الطريق، وانصعب  
عيناه وهي تجري نحو السيارة ذات اللون الكريمي التي  
وقبأ آدم ليت... وصاحت باليونانية  
"مرحبا بعودتك يا بول"

وتاملته دومني وهو يرعع أحده النحلة بين ذراعيه، ثم  
وهما يتعاهدان بفرح قريب، واحتصب الفتاة وجهه بين يديها  
السراويل، وهي تردد سمة، بينما انهمرت دموعها، وهرب  
"أفتقدتك كثيرا، كيف هالك يا أخي؟"

"أنا في أحسن حال أيتها الصغيرة"  
ثم قال بعد أن أمزلهما على قدميهما  
"والآن يا سحبتني، تعالي قابلي زوجتي، دومني"

وفتح باب السيارة، وخرجت دومني لتواجه لغطاب الشمس  
لحارة، كانت ترتدي ثوبا سماوي اللون، وبدون أكمام،  
وكانت تبدو غاية في الرقة والجمال، حتى أن كارا لم تملك  
نفسها من انتمديق فيها.

وقد بول بالانكليزية  
"قبلي أختك الجديدة يا كارا"

وتقدمت الفتاة في ارتباك من دومني، وقالت وقد احقر  
وجهها فجلا من قبة زوجة أخيها لناعمة على وجسها  
السراويل:

"مرحبا بك في أيديلوس، وفي أسرنا يا دومني"  
ثم ترجعت لتقف بجانب بول، وأطلق ضحكة وهو يحيط  
خصرها الفضليل بذراعه، وسأل:

"كيف حال الجميع يا كارا؟ هل نعمة صوفيولا بخير؟"  
"أجل، ولكنها كانت قاسية جدا معي تقول أن حائلي العصبية

سيئة، وأنها ستطلب منك أن ترسلني الى أخصائي أعصاب"  
صاح

"يالله من كلام فارغ، ماذا فعلته؟"  
"أحيات أخت جلدني"

وحك جلدنا بالفعل وهي تتكلم، وتركت اختلافنا على  
ذراعها الأسرى، وعبس بول في وجهها، وضربها على يدها،  
ثم استدار وقال **لثومني** بجفاء:

"كارا ليس في الحقيقة قردة يا عزيزي ولكنها تقلدها"  
وأطلقت كارا ضحكة صغيرة تدل على الخجل، ثم جديت  
أحدى يدي أخيها، ورعصها وهبتها، وبحثت وجهه بعينيها  
**الشونداوين** السريعتين، وقالت بسداة  
"أعتقد يا بول أنك سعيد لأنك تزوجت"

وأجابها على ذلك بأن قرص مذاعبا أربعة أمفها - وكان  
"سجعلين دما" الخجل تتدفق الى وجه دومني بملاحظاتك  
أما انكليزية، يجب أن تتذكرى ذلك، ولم تتعود بعد على  
طريقنا في الكلام"

"ولكنني سعيدة للغاية لأنك تزوجت يا بول"

ثم استدرت وواجهت دومني ببتسامتها الباذخة قائلة  
"كنت قد بدأت أعتقد أنه لن يتزوج ابدا، وليس في صالح  
الرجل أن يظل بلا زوجة، وأنا سعيدة الى حد الرغبة في  
الفناء، لأن أخي الوحيد العزيز اختار لنفسه مثل هذه الزوجة  
الجميلة"

وبأثرت دومني تأثرا شديدا، كانت قبل هذه الكلمات  
البريكة الصادقة الصادرة عن الفتاة، تحس بالتوضيع، وبدأت  
تحشى أن تكتشف كارا، أن أختها وزوجته لا يجمعهما الحب  
كما اعتقدت. وراقبت بول مع أخته الصغرى، ولمحت في  
عينيه بريق الرضى وثلاثهم يقتربون من دخول البيت،  
واقترحت كارا أن يقبل بول دومني عند أول درجة هي



السلام، حتى تدخل بركة هبهما الى البيت معهما .

وكان قد جاء لقضاء عطلة سببية . لاسبوع في هذا البيت اليوناني القديم فوق ميناء أديلبوس، بدعوة من عمته انسي اتصلت به تليفونيا، وألححت على ذلك، ووقعت العمدة هي الصلة، ترحب بابن أخيها وعروسه بتقديم العيب المنكر وبعاء المثلج كعادة اليونانيين وسألت كارا بنهجه اذا كانت تستطيع أن ترشد دومني الى غرفة نومها، فقدت العمدة وهي تضع يدها على كم بول

"أجل، أجل، أيتها الصغيرة القلقة، وتعال أنت يا ابن أخي، لتحدث معا في الشرفة، عذري ما أريد قوله لك ."

وقالت كارا مقظبة وهي تمسك بيد دومني

"أراهن أن بعض هذا الحديث عني ."

وصعدت معا السلم الى لطابق العلوي، وعبرا قاعة كبيرة، وقالت كارا ضاحكة:

"هناك، عمدة صوفيو لا في جعلي سيده مجتمع، لقد فصلوني من مدرستي في أثينا منذ بضعة شهور ."

ورمقتها دومني بنظرة جامبية وقالت:

"أوه . . . لماذا ؟"

"لأنني عرفت على قيثارتي في مكان عام، مع نه شيء لطيف ولكن مديرة المدرسة قالت انها فجة وجموح . . . وعندما جاء بول ليأخذني، حدثت بيته وبين مديرة مشادة مخيفة، أن بول يعرف أنسي لا أقصد أن أكون متوحشة، لست متوحشة حقاً ."

قالت دومني

"أنت في مرحلة انتقال . . ."

"بالتضبط . . . أنسي نصف طفلة . . . ونصف امرأة، ومتهمدة على الاثنين . آه، لقد عرفت بك ستقديرين وستفهميني ."

وتلقت يد دومني ضغطة منها حين استمرت انغاة تقول:

"أريب ذلك هي عيبك للوهلة الأولى، هذه غرفتك وغرفة بول ."

وخيمتا قسحب كارا باب العرفة المزدوجة . بتقديمه، شعرت دومني بعصه هي خلفها . . . كانت حقيبتها قد أحضرت مع حقيبة بول، وكسب الوصيعة قد أهرغت محتويات الحقيبتين، ووضعت قميص نومها بجانب بيجامة روجها .

واقتربت كارا من السرير الكبير وهربت جالسة فوقه وقالت "أجل، سيشر كلانا بالراحة في هذا السرير ."

ثم لمست قميص نوم دومني بأصابع خجلة، وسألت "ألا تتعربين في سيج العنكبوت هذا يسرد؟ آه، ولكن، كلا بالطبع ."

وأظنبت ضحكة، وحدثت بهرح سادج في دومني وقالت

"ربما يكون من الرائع أن تكوبي امرأة، أم لا ؟"

"هذا وضع له ضحكاته، وله أيضا دموعه ."

وألحقت دومني الى كارا رزمة صغيرة أخرجتها من حقيبة يدها، قهضت كارا .

"والآن، ما هذه ؟"

وهي ابتساما لطيفة طويت منها دومني أن تفتح الرزمة و ترى ما فيها، وهملت كارا ذلك بأصابع مغلقة، وحسبت أمعاسها وهي ترهق عطاء اللعبة المربعة، وتكشف عن لعبة بوردة رقيقة، وأحمر شفاء، ونظرت كارا بوجهها لأسفل في امرأة اللعبة، وقالت باليونانية .

"أتمنى لو كتب جميلة يادومني لتسبيني هديتك، شكرا كثيرا ."

وداعبت كارا اللعبة بأصابعها، ثم عادت تقول

"ما هو شعور المرأة عندما تكون جميلة، جميلة حقاً، مثلك ؟" وتلاشت ابتسامة دومني وهي تنظر الى أحب بول مصدومة، فالحقيقة مرة، لم تكن تستطيع أن تجهب قائلثة "نقد

تعلمت أن الجمال فح، انني أكرهه لأنه جعلني ملكا لأحيك،  
ولأنني مجرد متاع له، فأنسي مدفوعة إلى يدائه، لا أستطيع  
أن أكف عن يدائه، لقد أصبح قاسية وضئيلة، لأن لي هذا  
الوجه، وهذا الجسم\*  
وقالت بجديّة

"الجمال في الأعماق\*"

"سعين أنك يمكن ألا تكوني جميلة هي أعماقك؟"

وكانت نظرة كار فادّة، هي لصغيرة في بعض  
تصرفاتها، كاتب أكبر في البعض الآخر، ووهفت دومني عند  
طرف السرير مشدودة خفية أن تكون كار، شعرت بعدم حبها  
لبول\*  
وقالت كار،

"كتب لي بول يقول أنك تشبهين لوحة "ميدنتي" واعتقدت  
أنه لابد أن يكون مبالغا\*"

وسألت دومني متلعثمة

"ما... ماذا؟"

"لوحة "ميدنتي" والآن أرى أنه لم يكن مبالغا، إن لك  
اللامح الرومانسية المبيكة نفسها وأما أتوقع أن يرغب "باري  
سونيرن" في رسمك، إن باري يعيش في كوخ على الشاطئ  
وعني تدعوه الصّاب، ولكنه في أي حال موهوب وهو أيضا  
انكليزي، مثلك يا دومني\*"

وشحب وجه دومني كان باري هنا... هنا في اليونان،  
وكان يعيش في كوخ في جزيرة أميلوسيا وترجعت، وفهرت  
كار من السرير، واقتربت بسرعة منها، ووضعها داما حولها  
وهي تقول:

"ماذا بك؟ هل تشعرين بالفتيان؟"

وتماسكت دومني وقالت برجفة

"من المحتمل أن يكون ذلك بسبب الحرارة، أنا... أنا

لم أعود بعد على شمسكم\*"

ونظرت كارا إلى وجه دومني الشاحب مقلق وقالت:

"تستعربين بحسب عندما تشربين عسجان شاي، هل أخضر

الثاني هنا، أم تفضلين الحاق بالآخرين في الشرفة؟"

"دعينا نذهب إلى الشرفة\*"

أحست دومني بالحاجة إلى الهواء بعد الصدمة لمعرفتها

أن بول - دون ناس أجمعين - أحضرها إلى المكان الموجود

فيه ماري، لقد كان ذلك قدرا، عكزت في ذلك وهي تتدح

ماحية المرأة المتعطش شعرها وحلقب في عينيها (لو سعتين،

ورأت أنها خائفة، مثلها هي متفهمة لرؤية باري\*"

كانت خائفة من بول، لذي ذكرها في اليوم السابق فلفظ،

أن الشرف مع ما أقسمت عليه عندما أصبحت زوجته\*"

وكانت تضع أحمر الشفاه الوردي على شفتيها، عندما دخل

بول الغرفة، ويده في جيب البنطون الخفيف الذي كان يرتديه

مع قميص سبور في لون الرمل، وسأل

"ألا تريدان أيتها الفتاتان أية معشيت؟ الشاي يقدم الآن في

الشرفة\*"

وقالت دومني

"انمي أرتب ملابس يابول\*"

وتنصت ألا تخبره أخته بما «عثرها من ضعف عند لحظة،

وراهبته في لمرأة عندما نحس فوق كارا، وأخذ وجهها بمن

يديه... وسأل مبتسما

"لماذا هذا التعبير الشارد يا صغيرتي؟ اعتقدت أنك سررت

لرؤية أخيك. كنت غايّة في السخاء بقبلك عندما التقيت

أمام باب البيت\*"

ونظرت كارا إليه، ورفعت يدها إلى شعره، وإلى المذبة،

وكلمته باليومانية، وتأكدت دومني التي بذات تفهم قليلا أن

كارا تذكر شيئا عن أرماث الصداق التي تنأيه، ولم تفهم

اجابته، ولكن بغمه صوته كانت رقيقة، وأضاف بالامكليزية:  
"حسناً ياكارا، فإذا كان رأيك في الهدية التي أرسلتها إليك  
من أثيماً؟"

وأشرف وجه الفتاة، وكانت دومني قد عرفت من بول أن  
أخته موصفة بالموسيقى الشعبية، وكانت تجمع الأعاسي  
القديمة كما تجمع لفتيات الأكراب الدمى، وكانت تعرف  
على عدة آلات موسيقية، وقد عثر بول في أحد محلات بلاكا  
على آلة "مادولين" جميلة، فاشراها وأرسها لكارا  
وقالت كارا بحماسة

"أوتدريها ذات ربيع رائع. سأعرف عليها لك ولدومني بعد  
العشاء".

وابتسم بول قائلاً:

"سنتظر عرفت بلهفة، دومني نفسها موسيحية، أمها تعرف  
على البياتو بهراغة".

ولمعت عينا كارا كأنها من الأسود، وقالت:

"دومني تحب الموسيقى؟ أوه، الاقدار معي اليوم، دومني  
لطيفة مثلها هي جميلة، وهي أيضاً تعرف على السامو".

و، حرصت كارا أخيراً، وتطردت قائلة

"شكراً لك يا أخي الكبير على المادولين، وعلى دومني".

وقال بول وهو ينظر إلى دومني،

"أنا سعيد لأعجبك المردوج".

واستدار باحبة زوجته وقال:

"هل أنت مستعدة يا عزيزتي؟"

وأومات، وابتسمت كارا، فقد أدركت مدى تعلقها ببول.  
ومدى إشراقها، وأعجبت بنظرات الطهوية الصريحة التي  
تلازمها. ووقفت دومني في أشرفها، وبدت لها مياء  
أندينوس أشبه بلوحة مرهرة الألوان، وأحد بول وكارا يلعبان  
نظرها إلى مركب الصيد بأشرفتها لغومة، والدير العبي من

الحجر الأبيض، وقد تسلفت جذرائه النباتات الأرجوانية،  
والى الجرار القريبة المتناثرة كأنها كتل المرجان. وبظرت  
دومني حولها في هتف، وكانت الشمس تلمع فوق شعرها،  
وتوبها يساب هي عومة. هبت هتة بجانب زوجها القوي.  
ولم تنسبه إلى أنها كانت موضع تحديق الرجل الذي جلس  
على معد مجاور حيث جلست عمه بول. وكانت كارا هي التي  
لاحظت نظراته عندما أصدرت هجاة بطريقتها المعتادة،  
وهضعت.

"أهلاً، لم تكن لدي أدنى فكرة أنك ستأتي لتناول استي".

اجاب

"أرغيت أن أتركك في الترهيب بعودة القائب".

وتجمعت دومني في مكانها لدى سماعها صوته، ثم التفتت  
في بطل، ووجدت نفسها وجها لوجه مع باري سوتيرن مرة  
أخرى! لم يكن قد تغير على الإطلاق، باستثناء لمسات البضج  
المنزايذ. وحملت عينا أشقر وان الباعسان في عينيها،  
وتذكرت جيداً ذلك الفم الوسع المرح بسهم، ولكن، بخصلة  
المتهدلة من الشعر الذهبي.

وتساءلت بقلق إذا كان سيمس معرفته بها، ثم أكدت لها  
بحريتها الأنثوية أنه لن يفعل، وأحسست بالاضطراب عندما  
تهض من مقعده، وقال لبول بابتسامة هائرة

"أنت شديد الحظ... راهن أنك إذا سقطت في البحر، تخرج

ومحارة في أدبك، محارة داخلها بؤلوة".

"أرى يا صديقي من النظرة اللامعة في عينيك العساة، أن  
بؤلوتي" تروق لك".

وعندما قاد بول دومني إلى المائدة في الشرفة يتقدم باري  
إليها أحست بقبضة ذراعه القوية حول خصرها.

وقالت دومني،

"كارا أخبرتني ياسيد سوتيرن أن أعملك راكمة".



وأخست وهي تتعامل مع باري كغريب، أنها تلعب لعبة خطيرة، ورد هو

"سأكون سعيدا بأن أريك بعض أعجالي ذات يوم يا دومسي".  
وأخست بقلبها يحذرهما، حين رأب بول يرمي باري بواحدة من نظراته الحادة، ولكنها هي الوهب نفسه أراد أن تقول "لقد عرفت هذا لرجل قبل أن تقنم أم حيسي يا طاغيسي الوسيم يوظف طويلا". لقد جاءني بالمرح، وليس بالتهديد، وذهب عني لاسي كنت صغيرة عندما تقابلت، ولأنه كان يريد أن يثبت أقدامه كرسام.  
ولكنها قالت:

"سأطلع إلى رؤية بعض أعمالك يا سيد سوتيرن، ويخيل إلي أن نوعية الضميمة هي أسوأ من لاند أن تترك تأثيرها الرائع على عمل الفن، الألوان والخطوط لا شك أنها ذات رونق مضاعف".

قال وهو يضغط على هروف الاسم.

"هذا صحيح بكل تأكيد يا سيدة ستيفاموس".

وارتفعت عيناها إلى وجهها الذي أحاط به شعرها العسل، فوجدتهما جامدتين، باردتين، وتذكر جيدا مرحها في الماضي، وشعر بالأسراع وهو يتأملها تجلس على مقعد بجوار عمه بول، وتجيب على أسئلة أخته صهيولا عن حفل العرس، وشهر لعسل، بينما كانت، لأخيرة تصب الشاي، وقدمت كارا الحلوى والقهوة، ثم جلست على ذراع مقعد أخيها، وهي تأكل حبة تين كبيرة.

وقال باري موجها كلامه لدومسي

"لا بد أنك ررت الأكر ووليس عندما كنت في أثينا؟"

"زرتة سهارا ومساء، وأعجبي".

وقال بول بابتسامة جافة

"دومسي من النساء اللواتي يفضلن الأحياء المقعدة

على المساهرة، الأعمدة الأثرية أرعجها في صو لنهار".  
وقال باري ناظرا إلى دومسي،

"غالبية النساء خياليات، واسي أتساءل يا سيد ستيفاموس، إذا كنت ستسمع لي يرسم روجتك".

واحتقن وجه دومسي لكلام باري، ذلك أن العيون كلها اتجهت ناحيتها، حتى عيني بول غير المقرؤتين، خف عدستي نظارة الشمس الرمادية، ونهبت نو تهون "لا يا باري". لا تجعل الأمور أصعب مما هي عليه الآن".  
وابتسمت كارا في براءة لدومسي، ثم نظرت إلى بول وقالت،

"يالها من فكرة رائعة... يجب أن ندع باري يرسم دومسي".  
وأضاعت:

"أوه، سيثير ذلك غيرة "الكسيس". إنها تعتقد أنه لا توجد من تماثلها جاذبية".

وسأل بول.

"على فكرة، أين الكسيس؟"

وهجم دومسي من تعبير عمه أن طلب باري لم يعجبه، ووجد في السؤال عن روحه أخيه "الكسيس" بهذا التغيير دقة الحديث.

وقالت كارا:

"ذهبت الكسيس في برهة بحرية مع ناس يستأجرون منزلا على مقربة ماء، حيث سيقضون الصيف، انهم أمريكيون أثريا، ولذلك اندمجت معهم، الكسيس بطبيعة الحال".

وقالت عمها بحدة:

"هذا يكفي، هذا شأن الكسيس اد، كانت تفضل صحبة المتحضرين على الصيادين والمتجولين على التسطى".

وضحك كارا وهي تنظر إلى قدمي باري العاريتين، إلا من صندل على الطراز الروماني وقالت

"أعتقد أن العمه صوفيولا تعبك، يا باري، لأنك تسكن هي  
كوخ على الشاطئ".

وبعد أكثر من عقد سابقه، ونظف بظلمته من فتات  
الطوى، وهبب دومي من تعطسه وجهه أنه يفكر في الأيام  
القديمة، ذلت أمسيه، في مركب على لشاطئ الاكسيري،  
لمح بأنه يجب أن يرحل... ورغم ذلك لم يشعر بالحر، ذلك  
أنها كانت تحبس أنهما لا بد سيلتقيان مرة أخرى. واهتقت  
دومي من شرود أمكاريه، نجد أن كارا جلست مكتمشة بين  
درعي بول مثل قطرة صغيرة، وهرت العمه رأسها وهي تتأمل  
الاشمين، وقالت:

"أنا تفسده يا بول، كارا بلغت السابعة عشرة، وبحب أن  
تبدأ في تعلم الاقترن، أناك تعاصها كقطعة، ويس كل الرجال  
يحبون أن تلذذهم روجاتهم مقاعد مريحة".

وهرت الضحكات أشبه بدريح على فم بول، وربت على شعر  
أخته اندكن، كان مقصود بطريقة غريبة، كما كانت قد  
عبثت فيه بالمقص.

وابتسم بول قائلا:

"أه، حسن، إن أحدا لم ير الآخر منذ حوالي ثلاثة شهور، وأنا  
مدين لها ببعض التذليل".

والنمضت كارا عينيها الداكسين، وبذبت كقطعة فعلا وهي  
تمسح وجنتها في صدر أخيها. أما دومي فجعلها صوته  
الحسي تذكر الليلة في الضلا عندما بدأ شهر العسل... ذلك  
الصوت العميق اندافى، نقلها إلى الجنة، وكما أنها، ولا  
يزال يؤلمها، اكتشفتها أن بول هدعها.

وابتسمت كارا لدومي وقالت:

"كم يبدو غريبا أن أفكر الآن في بول كزوج، وأرجو ألا  
يضايقك أنني استعمل زوجك كمقعد مريح".  
وقالت دومي باستغفاف.

"أهلا وسهلا بك".

ولكن لم يحف عليها أن بول قطب جبينه، ولا النظرة التي  
القامها باري على ساعه معصمه، كما لو أنه لاحظ تنمنا في  
ملوكها ارتسم صداه في عينيها، فأسرع يخفيهما حتى يسيطر  
على نفسه من جديد، ولاحقت ببصاتها وقد أحست بالخطر  
يصدق بالاجواء.

وتهض باري واقفاً، وأحس أمام عمه بول قائلا:

"تكررا يا سيدة ستيغانوس على الشاي".

ثم نظر إلى دومي وقال:

"أتمنى أن تستمتعي بحياة في الجزيرة، ونملك أمك وكار،  
مشرقا في يوم من الأيام".

وقالت دومي لنسكتها

"بأفكر في ذلك".

وانتقل باري بهمه إلى بول وقال:

"وستفكر يا سيد ستيغانوس في السفح لي برسم روجتك؟  
وأحسب دومي في سؤا باري بالتحدثي، وانتظرت بقلب  
خافق رد بول الذي قال:

"أجل، سترسم روجتي يا سيد سوتيرن ولكن ليس الآن. وأعتقد  
أنه لن يفكر أن تنتظر بضعة شهور".

وأطلق باري ضحكة قائلا:

"سأخذها على أنني يجب أن أنتظر، من حسن الحظ أنني  
استأجرت الكوخ لمدة سنة".  
رد بول في بطنه.

"إن أدع أيا منكما ينتظر عاما..."

وهي تلك اللحظة سمعت دومي عمته بجانبها تحبس  
أنفاسها عندما وخرتها ابرة التطير في أصبعها، وقال وهي  
تلتقي بنظرة دومي الجاسبية.

"ياي من حمقاء، حمقاء للغاية في كبر سبي، لقد ترككم

على الد سيلة بقعة دم\*  
وعلفت دومني وهي تنابع باري بعينيها  
يا للخسارة\*

و. توجه باري نحو سلم، طويلا، فارعا، وأشعة الشمس فوق  
شعره الذهبي، حتى ذلك الحين كانت دومني لا تكاد تصدق أن  
باري عاد إلى حياتها، ولكن كقريب\*  
وبادت كارا خلفه

\*لا تنسى حفلنا مساء الغد للترحيب بدومني وبول، ساسي،  
ألبيس كذلك؟  
وابتسم لها قائلا

\*ما من شيء يمكن أن يحون بيني وبين العجىء، وداعا  
جميعا، وحتى مساء الغد\*.

وساد صمت ثقيل بعد رحيله، ثم قامت كارا وسألت دومني  
إذا كانت تحب أن ترى ثوبها ندي سترتديه في حفلة الغد.  
ورحبت دومني بالفرصة للفرار، ولكن عندما مرت أمام مفعد  
زوجها، أمسك بيدها وتأملها لحظة، وأحست بقلبها يخفق بين  
ضموها وهو يتفحص وجهها من خلف العدسين الرهائنين  
اللتين كان يبدو بهما غمضا، جامدا، وقال مهدؤ هدير.

\*يبدو أنك وجدت باري سوتيرن شخصا ملبيا\*.

\*أعتقد ذلك لأنه انكليزي\*.

وأحست بضغوط أصابع بول، واستحسب الانصياع من على  
شفته وهو يسألها.

\*أما رلت تخبرين أنك عريضة معي؟\*

وعضت شفتها، وأحست بكارا وعمته ينظران نحوها،  
وحيث أن بول يدها ببطء، ورفعها، وقبلها، وتلفت دومني  
القبلة بدون أية حرارة في قلبها، مدركة أنها مجرد اعلان عن  
ملكيتها، عن مروتة.

## ٨ - نمر رابض في داخله

أطلعت دومني صيحة امتزجت فيها الدهشة بالطرب، إذ  
كان مخدع كارا أشبه بمحل للألات الموسيقية الغربية،  
وعبست كارا لرد فعل دومني، ثم التفتت آلة الماتوليين التي  
أهداها لها أخوها، وداعبتها بيدها النعيلة، وهي ترمق  
دومني بعينين داكنتين كعيون الغمر.

والسقطت دومني صورة عن المكتب لسراء جميلة، كانت  
تريدي توب رهافا. شعره كان مصفوا بطريقة غريبة،  
واقتربت منها كارا وسطرت من وراء كتفها وقالت:

\*أنها صورة أم بول، بول يتبعها، ألا تعتقدين ذلك؟ وهذا هو  
والدنا في الاطار المجاور، مسكين أبي، لم يكن سعيدا مع  
أمي، أبي لا أتذكره جيدا، ولكن العمة صوفيولا تقول دائما  
أنها كانت المروءة الحمقاء لرجل في منتصف العمر.

وداعبت كارا أوتار ألتها واستطردت قدئة وهي تضحك

\*وأنا ثمره تلك الزواج... الثمرة الشاذة!\*

وانغاطت دومني، ذلك أنها أحبت في الفتاة براءتها...  
وسألت:

\*من زعم أنك شاذة؟\*

قالت كارا.



"أوه، الكسيس، وأحياناً عمني، انهما لا تفهماني، وتعقدان أنه من الغريبة أن أعتن الموسيقي لشعبية إلى هذا الحد، وسألت دومسي وهي لا تشعر بالارتياح نحو الكسيس "كسيس كانت مبروجة من أخيك الأصغر ياكارا، اليس كذلك؟"

وردت كارا بوجه معكر:

"أخر، كانت روجة لوكاس، لقد ماتت منذ ثمانية عشر شهراً، في البحر مثل أبي...، لبحر قاس علينا، رغم أنه مصدر رزقنا."

وقالت دومسي برفقة:

"التي أسفدت على موت أخيك ياكارا."

ولمعت الدموع في عيني الفتاة، فحولت دومسي ابتماهما باحثة صورة أخرى حتى لا تزيد من آلامها، وطالعتها صورة الوجه لأسمر من خلال ظفر آخر، صورة بول عندما كان في مثل عمر كارا تقريباً، ولكنه كان بول غيره... لا، بملايكة الغريبة من جلد داغر، وقبعته الصوفية فوق وجهه الرقيق.

وقالت كارا بخبر:

"كان بول في السادسة عشرة من عمره عندما حارب مع المقاومة، كان مقاتلاً فدائياً، وقد أصيب إصابة بالغة بقبيلة يدوية أثناء معركة أليد، وكاد يموت، وكان ذلك سبب حدوث البدية."

ولمست كارا بإصبعها وجهه الخالي من البدية هي الصورة، وعادت تقول:

"سدية لا تهم... ما زال بول أوسم الرجال في الجزيرة، وليسوف ترزقان بأبناء راضعين."

وأمسكت كارا عن الكلام حينما أعادت دومسي الصورة إلى مكانها على المكتب بسرعة تسببت في وقوعها، وأطلقت دومسي ضحكة صغيرة مقتضبة، وقالت:

"تزوجت أنا وأخوك منذ بضعة أسابيع فقط ياكارا، ولم

يفكر بعد في تكوين أسرة."

قالت كارا بحرارة:

"لكن الأطفال فرحة كبيرة، انهم أرق جانب في الزواج، أوهكذا يبدو لي."

"أنا، أنا لا أريد أن أتحدث في هذا الموضوع، د لم يكن في ذلك ما يضايقك يا كارا."

وبدت دومسي مرتبكة، مرتجفة، وهي تتصفح كتاباً عن أغاني البحر ولكن كارا، غتاظ بعض لشيء، وبالبحاح طفولي عادت تطرق الموضوع، وقالت:

"ألا تسمين أن تعشي بول طفلاً؟ إن فخر كل امرأة يوسية هو أن تعطي رجلها ولداً، هل الاسكيبريات مختلفات؟ من هن باردات... مثل جمائهن؟"

وأجابت دومسي في صوت خافت:

"أنا... ليس من عادت أن يتناقش في أمورنا الخاصة."

وكانت دومسي بعيدة عن البعد عن النور من الأطفال، ولكن الطفل في رأيها كان يجب أن يولد من حب، وبم يكن حب ما يستشعره بول عندما كان يأخذها بين ذراعيه، وداعبت كارا أحد أوتار العادولين، واختلست نظرة نحو وجه دومسي وهي تتظاهر بتصفح الكتاب الذي كان بيدها، وسألتها:

"هل يبدو محن... والجزيرة... غرباء عليك؟"

قالت دومسي:

"أنديلوس عالم آخر بالسيدة لي، أهدس بأجوائها الأسطورية، لكنني أدرك عدم امتعائي، ليها في الوقت نفسه."

اعتزفت كارا قائلة:

"ولكنك بالطبع تسمين... أنت روجة بول... وهذا يجعلك واحدة ماء، لا شك أن عاداتنا تبدو غريبة في البداية، ولكنك في وقت قصير للغاية، ستشعرين وستتصرفين كروجة يوسية، وستجدين متعة في ذلك."

وأضاف كارا صاحكة

"بول شديد البسطة بالطبع، وأنت اكثربة ومن الطبيعي أن يحدث صراع، ولكن كما نقول في اليونان، لا يوجد رواج خالي من الصراع، ثم من المصالحة".

سألت دوميني في هدوء

"هل يبدو حقاً يا كارا متصارعين؟"

قالت كارا مؤيدة

"أستطيع أن أقول أنه توجد بعض الخلافات بينكما، ولكن بدو أن رواج هي مرحلة وضع الأمور في نصابها، والسعادة تكتسب ولا تقدم لنا فوق طبق".

وابتسمت دوميني متسائلة

"هل كن اليونانيين فلاسفة؟"

والتفتت كارا قائلة

"بالطبع، كان اليونانيون متحضرين، عندما كان غيرهم متخلفين... تعرفين ذلك طبعاً".

وأحست انقذة رأسها فوق ألنها، وارتفعت أقدام موسيقية يونانية قديمة، واستجعت إليها دوميني وهي تفكر في بول، والسر الذي يربض في أعماقه.

اسمر، اسمر، يهدير هي الظلام، بسين دهنين تتأججان بالرغبة التي تحركها هي هي أعماقه وتكرهها، ووقعت وعيناها فوق صورته في شبهة وقالت حينما توقعته كارا عن تعرف

"أنت تجيدين، اسمر يا كارا".

ونحسب كارا الحادولين بأصابع يسري فيها الحب، وقالت

"هذه الآلة تجعل أي نغم جميلاً أن بول يحضر لي دائماً الهدايا التي أحبها ذات مرة، عند عودته من إحدى رحلاته، أحضر لي معه شجرة ورد حقيقية، وقد غلقت بأغصانها

العصافير... ولكن ذلك عندما كنت صغيرة".

ودهب دوميني إلى غرفتها ترافقها موسيقى المندولين، وفتحت أياها وفوجئت عندما رأب بول وقفها في شرفة، أما هو فاستدار عندما سمع وقع خطواتها وسأها مبتسم "هل أعجبك هذا البيت القديم؟"

ووصلت إلى منتصف القرعة، ولاحظ المربى (نقسي في عينيها، كانها دموع متحمدة ترقد فيهما، وسمعتها تقول.

"ماذا تريد مني أن أجيب ببول؟ أن ألكا ساخر، وأسي صاحب زيارته؟"

وبحركة تطلق بالتعب وبالصبر، أراحه شعر من فوق عينيها. وقالت:

"البيت ساخر، لكنه علي بأقاربك الذين سيتكهون ولا شك كيف تسير الأمور بينما، هل تعرف أن كارا حدثني عن ذلك؟ قال ببطء وهو يفتح دكان سيكاره المتصاعد في حلقات أمام عينية الذهبيتين.

"لا أستطيع أن أبدأ بالتكهن".

"كانت تتحدث عن الأطفال... أطفالاً..."

وتصلبت عيناها وهما تنفرسان وجهها الذي يسطق بالتأنيب. وقال:

"أنا أسف لأن كارا ضابقتك، ولكنك طفلة، وبذلك فهي تقول ما في قلبها، يجب ألا تأخذي كلامها على محمل بدم".

"هل يمكن أن نقترح أن أطبق مصبحتك على بقية الموقف؟ هذا الادعاء بأننا عروسان سعيدان، ولا وجود للحب في أفق حياتنا".

"اليونانيون لا يفصحون عن مشاعرهم علانية، وسيكدر أقاربك أكثر مما يسعدهم، إذ أظهرت عواطفك نحوي علانية، إذ كنت تجعلين لي أية عواطف؟"

"مما يريحي أن أعرف أسس لست مضطرة إلى تمثيل

دور العروس لسعيدة وأطلقت دومني ضحكة صغيرة،  
واسطردت قائلة

"أما لا أجد الظاهر ولا الأدعاء، حتى عندما كنت طفلة لو  
أخبرني أحد بوجود مارد في الغابة... لصدفته".

وترك سيكاره بيظه وابتسم من خلال الدخان قائلاً.

"ومادا عن ذلك الحيوان، الذي يشبه الحصان وله قرن ثور  
بدومني؟ هل تذكرين ذلك السمтал الصغير الذي اشتريته لي  
بكل ما معك من نقود... وأمسكته بيدك كطفلة وأب تهرعين  
الي؟"

قالت دومني بهرود:

"أوه... كنت بالعمل طفلة... مجبوبة صغيرة كنت عدة  
ساعات مثل... مثل طائر أعشى".

وذابت الابتسامة على شفاهه، وقال:

"تعلمت يا دومني كيف تكومين قاسية".

قالت وهي تسحب من أحد لأدراج بعض ملابسها الداخلية،  
وتفرج من الدولاب ثوباً طويلاً:

"لدي أفضل مدرس... أنت يا بول".

ودهبت الي لخدم، وحينما كانت تفلق الباب، شعرت  
بالرهو لأنها ألفت، ذلك الحيوان الخيالي كان موضوعاً على  
مكتبه في تلك الغرفة في بيته وكان بول كان يحترق احساساً  
بالسعادة لما يرمز اليه هذا الحيوان من ادعائها... ادعائها  
الكامل له... ولكن ذلك من يحدث ابداً مرة أخرى... كانت  
تعني ما قالت له في الفيللا أنه يستطيع بكل ترحيب أن  
يستمتع بما اشتراه، ولكن قلبها سيظل ملكها.

ولمحت صورها في المرأة وهي خارجة من تحت الماء،  
كانت عيناها عيني امرأة غريبة، وتأملت نفسها وقد نفت  
حولها مستشفة، أين ذهبت دومني دان الطفله الي كانت  
تبحث عن الاشباح في الغابة، وكانت تحلم في السابعة

عشرة بكتاب طويل، ذي عيين مرحتين، وشعر أصفر، وأغلقت  
دومني عينيها سحاشي رؤية الفتاة التي هي المرأة، الفتاة  
التي يملكها رجل لا تحبه!

ولم تلبث دومني أن اكتشفت أن انيونيابين يفضلون تبون  
الطعام هي الهواء الطبق، تحت أشعة الشمس، وعلى ضوء  
النجوم، وأن وجباتهم المسائية تبدأ هي ساعة متأخرة، وأهم  
يمطشون فيها، ويتحدثون عن أشياء كثيرة، وغالباً ما يتصف  
الليل قبل أن يخلووا الي قراحتهم، وكانت السجوم تلمع في  
المساء عندما خرجت دومني مع بول الي الحديقة حيث مدت  
العائدة لمشمعة. كانت ترتدي ثوب دانتيل بلون المشمش،  
وأحاط شعرها بالشفرة بوجهها في تصفيفة رائعة، وبدأ بول  
هي بدلة السهرة الداكنة أكثر طولاً بجانبها، وقد جذب ببدنته  
الداكنة، وسلوكه الغامض الانتباه، وجعل من دومني هدفاً  
لعيبي شدة كانت تقف ممسكة بكأس بجانب نافورة مفعلة.  
كانت ترتدي ثوب خوخي اللون واسمكت عيناها أضواء  
الدعرة، فأظهرت وجهيها الشامختين، وعمق عينيها  
العامتتين، ولحارة شعرها الأسود حول عبقها، وبخطوات  
المرأة الواثقة بجديتها المفرطة، تقدمت من بول ودومني  
فأدركت دومني في الحال أن تلك المرأة هي الكيس، امرأة  
لو كاس الذي مات مرها، وتفحصت الكيس دومني بنظرات  
فاترة وهي تسألها اذا كانت أنديلوس اعجبتها، كانت نفتها  
الانكليزية سليمة جداً، وكانت لهجتها غاية في السعومة،  
وقالت

"أوصي ألا تجدي نفسك معروية تصدا عن كل ما هو متحضر  
في ذلك البيت الذي يملكه بول".

واستدار بول الي العائدة يسكب كأسين، ولم تكن عمته  
وأخذه قد ظهرت بعد، وردت دومني بعد أن شكرت بول وهي  
تأخذ منه كأسها:



" عذرت الحياة هي بيت رهيبي "

ولم تكن دومني تتوقع أن تحب الكسيس كثيراً، إذ أحست أنها ستجدها من ذلك أسوء الذي يعيش لنفسه بحسب، كان ذلك وصحاً عليها كعظماً، العسيري الشفاد، الذي كان منتشرًا حولها ومحمولاً في حركاتها الشبيهة بحركات الفطة الفارسية المتبالاة إلى الرفاهية، وأطعت الكسيس ضحكة عالية، وقالت "دك البيت، ألم أقل لك من قبل يا بول أنه أشبه بالصومعة؟" ورشف بول رشفة من كأسه، وهال وهو يواجه عينيها "كنت ذلك، ولكنه بني كدك حتى يمكن أن يجد فيه الرجل مهرباً من العدمية المزعومة."

"ولكن دومني مرأة... وواحدة من مثل حلاوتها لابد أن تشعر بالمل مع مرور الوقت وهي منفعة هي صومعتك المزعومة. أعرف أنني شخصياً كنت سأشعر بذلك." قال بول مبتسماً.

"أنت مخلوقة قلقة من بدأت العدمية يا الكسيس، ودومني فتاة رهيبة، وأرجو أن تجد متعة في عذبات البحر وأشجار لصوبر، والسير في الغابات نهاراً." وهتفت الكسيس وهي ترمق من فوق حافة كأسها. "صحيح؟"

وأحست دومني بشمور عذائي نحو تلك الفتاة لم يبق لها أن أحست به نحو غيرها، إذ كان واضحاً أن الكسيس لم تكن تعني بأن يكون بيت بول غير ملائم لزوجته لكنها كانت قطعة جميلة تنهش في كل شيء، ليستمتع فقط باستعمال مخالبيها، فردت دومني.

"بني أحب الغابات لأنها تذكرني بوطني."

وقالت الكسيس بابتسامة لدومني.

"لا تدعي ساحة العدمية تجذبك بعيداً يا عزيزتي... فقد تضيعين..."

وقال بول مخفياً

"عزف هذه الغابات مدد كنت صبي... وإذا ضلّ دومني طريقها، سأجدها حالاً، وسأعود بها البيت." ومحتة الكسيس ابتسامة ناعمة من حلال أهدابها وهي تقول

"يا لك من شخص محب للسطرة، يا بول!"

ثم نظرت إلى دومني وقالت.

"اليس مرعباً لاكتيرية أن تتزوج وحداً من يونانييها المستبدين؟"

وأحست دومني بالتوتر وبقيت بحسب بول، وشعرت بالارتباك عندما حوت الكسيس اهتمامها، إلى وصول مضيقهم، وأتين من الخدم يحملان صواني الطعام، وظهرت كارا، لاهة الأنفاس هي ثوب أحضر، ومعها آلة الهندوليس التي وضعها بعناية على مeced تحت إحدى الأشجار.

وقالت الكسيس وهي تتحدث بالكلمات:

"هل يستمتع أي بموسيقى أتنا؟ تناولنا الطعام؟"

ورمقها كارا بنظرة عذرية منحرفة، وقالت

"دومني ترغب في سماع الموسيقى اليونانية، هل عندك هاتم؟"

وحولت الكسيس عينيها نحو الفتاة وقالت

"ومن أكون في هذا البيت حتى أسمع شيئاً؟"

ثم حملت فيهما وهتفت

"أحمر شهاه يا كارا؟ هل وضعت من أجل بيكوس؟ أم... ها هو قادم... ميكي، ابنة خالك الصغيرة وضعت أحمر شهاه تكريماً لك!"

وكان بيكوس شاباً وسماً لطيفاً، وفي طريقه إلى بول، شد شعر كارا بدون رقعة. وأحست دومني بمدى رهو أمه الارملة به، كما أحست أيضاً أن لصغيرة كارا متعذبة به وإن لم

تكن تشعر بذلك تماما، ذلك أن وجهي احتقن بشدة بملاحظة الكسيس، ومسحت، أخضر الشفاه في سرعة بمديلتها.

وجلس ميكوس بجوار دومي على المائدة، وساعدها حديثه الودي على الاسترخاء والاستمتاع بأطباق الطعام اليونانية، وانطلق ميكوس بإبسامه المرحية يشيع خوا من البهجة أثناء تناول الطعام، فكان يقدم السحب في صحة العروسين وهو يردد قولاً مأثوراً عزيز من الكريم، ونحن من البخل ولحب من الأبله! وباحتلاس نظرة نحو بول، تبينت دومي أن ميكوس يشبه صورته في شبابه وهو يملأ المقاتل الهذائي، وأحسب أنه منذ ذلك حين، تدخل الشيطان، وأحال الشاب المثالي إلى رجل قاس، وتساءلت إذا كان أحد الموحودين حول المائدة يشك في ذلك، أم أنهم كانوا يعرفون ويتقبلون الأمر باعتباره طبيعة الرجل اليوناني الباصح؟

وقال ميكوس:

"لا بد أن أنديلوس تبدو غريبة بعد اكتراء، وأنت تشعرين متعباً أنك بعيدة جداً عن وطنك!"

وردت دومي:

"أجل، اكتراء تبدو بعيدة جداً."

ولمزم ميكوس بعينه عبر المائدة لكارا وقال:

"أذن يجب أن سبدل أب وكارا قصارى جهدنا لمعاونتك على الانسجام بأهلك في وطنك..."

وتمسكت دومي للشباب الذي ضحك بصوت مرتفع وقال "بول..." يجب أن تحافظ جيداً على أقدوسك الأبيض هذه، ولا سرقته منك، هل توجد لها مثيلات كثيرات في اكتراء؟

ابتسم بول قائلاً:

"تستطيع أن تذهب إلى هناك في مهمة، وحينئذ ستري بنفسك كم هي لا أرض أنك ستجد أخرى مثل دومي تماماً..."

وضرب ميكوس بيده على المائدة رهواً هائلياً أنه

على تصرفه الذي اهتبرت له لأطباق وأدوات مائدة، وقال:

"أذا تصرف كصبي، فسيعتقد بول أنك غير لائق بعد لمرکز هام في العمل..."

وقال بول بتؤدة:

"ميكوس في حالة معونة طيبة صوفيلاً، وأنا استمتع بسماع

الخبيلات التي يحتلى بها الشباب..."

واهتربت أهداب الكسيس الطويلة فوق وجنتيها بينما كانت

النظرة التي رجعت بها بول مخفي ضحكاً عامضاً وهي تقول:

"أنت لم تصل بعد إلى الشيوخة يابول، إن لك خيالاً لك

أيضاً..."

وبقلصت أصابع دومي حول كأسها، ذلك أنها أحست أن

الكسيس بما لها من حاسة القطة، تبينت أن بول تزوجها عن

جروح خيالي وليس عن عاطفة، بول... تحقيق الزوج...

القصي... الجذاب... الذي لا بد أن تكون الكسيس نفسها قد

حركت خياله.

وقالت كارا خالمة:

"أنا أحب كل تلك الحكايات لخيالية والخرافية، ن بيت بول

يمدو لي دائماً ذا طابع أسطوري وهو يقع شامخاً فوق مشرفة

البحر المطل على البحر..."

وقال ميكوس مارفاً في مودة:

"وهل تقصوين دومي الأميرة الأسيرة؟"

وايكأت كارا على المائدة، واستدت دقها إلى يدها،

واستسفت قائلة:

"بل أن دومي تشبه البهجة المسحورة التي خضعت رداها

لضئحم كهفانة، والتي اضطرت لأن تقزوج الرجل الذي سرق

رداها النحوي..."

ورمقت العفة صوفيلاً ابنة أخيها بنظرة حادة، ومسحت،

"عم متكلمين أيتها الطفلة؟ هل ترى يابول؟ إنها تعيش

هي عالم وهمي.

وأفرغ بول ما في كأسه وقيل

"كار، في السادسة عشرة، طفنة".

ولكن دومني لمحب بريق الغضب هي عيبه، كاتب أخته  
عبر الشفيعه نوحيدة التي تجعل كل عواطفه، وتساءل دومني  
إذا كان يجب أن تعيش معهما، كان من الواضح أن كارا لمبت  
سعيدة في حضنة عمته، ذلك أن بيكوس كان يظهر لها من  
لاهمهم المختلفي وراء مראה معها أكثر مما كانت أمه تحب،  
بالإضافة إلى وجود الكسيس، التي لم يكن مراحها في رقة  
مزاج الشاب أو برأته.

وقررت دومني أن تقترح على بول دعوة كارا لقضاء بعض  
بوقت معهما، وإقامتها كان يمكن أن تمتد لتصبح دائمة، إذا  
وجدتها إقامة سعيدة، وكبت دومني متأكدة من ذلك، إذ  
كانت كارا متدهقة الحيوية، وموسمبة، وكان بيت بول  
بحاجة إلى قفرت لشباب في أرجائه، وإلى ضحكات تعيد  
البص إليه، ذلك البص الذي خلا منه خلال السنوات القليلة  
الفاصلة.

وأماقت دومني من شرورها عند ذلك الحد، لتجد الكسيس  
تخملق فيها وبتسامة صغيرة على شفيعها، ثم تحول بصرها  
ناحية بول، ولعمتها دومني تزم فمها لأحمر وهي تقبس  
بعينيه، عرض كنعية، ثم ترتفع بهما إلى الشفيعين  
المطبوختين بالتصميم، وبالهدنة، وبالرغبة.

وعندما نهض الجميع من حول المائدة، ساول القهوة على  
المقاعد، المرصوفة تحت الأشجار، أحسب دومني بأن الكسيس  
ترقبها ويول يحيط بكتفيها بوشاح من الداتيل، ويمرغ من  
شعرها خشرة صغيرة استفرت فيه ورغم أنها كانت لهمة  
خفيفة، لكنها كانت تنطق بأنتمك ليشهدها الجمع.  
تملكها من شعرها الأشقر، حتى قدميها الصغيرتين في

الحذاء النعسي... هي الاكليرية الباردة الرقيقة... كانت  
ملكاً للروح اليوناني المستبد.  
وتوترت، بكسيس أد رأب بول يوجه دومني إلى المقاعد  
الأكثر انحرافاً.

وقال ميكوس بتكاسل وهو يعد ساقيه ، تطويلتين فوق سور  
الحديقة

"أبت نشطة أكثر من الالام يا الكيسس، ولكني أحب  
الموسيقى التي تعرفها كارا".

عادت الكيسس بقول بنقاد صبر.

"أوه، هيا بنا، سيكون لدينا منسج من الوقت للجلوس وسماع  
الموسيقى عندما نكون، الآن أفضل الرقص، وهرقه الموسيقى  
هي الملهى جيدة للغاية".

وهذبت دومني وقد حقق قلبها لدى سماعها من الكيسس أن  
بأري ربما يكون قد ذهب الملهى:

"أنا أفضل الذهاب".

وقال بول مرغما

"حسناً سيدذهب، لا، لم تكوسي متعبة".

وبمجرد انطلقت دومني من بين ذراعيه وهي تقول:

"وهل يمكن أن يصاب الإنسان بالتعب في اليونان؟"

ثم ذهبت مع الفتاتين لإعادة تنظيم شعرها، ولا حضار  
وتاح، بينما رفضت لعمة صوفيولا لاضمام إلى المجموعة،  
معسة أنها تخطت عبر الذهاب إلى الرقص. وضحك ميكوس  
قائلاً:

"تراك في الصباح".

ثم اتحتى وقبل وجهها، فأمسكت بكتفيه بحظوة، وبظرت  
اليه بشغف، ثم تركته يذهب، داعماً بابنة شاة دخل سيارة  
ذات سقف منخفض وكانت الكيسس على وشك الدخول في  
سيارة بول، لكن ميكوس أمسكها من خصرها، وهال مارخا،  
"سركبين معاً، مارال بول ودومني في مرحلة التمتع في  
الانفراد".

قالت الكيسس متجعدة وهي تشير إلى سيارته:

"سمحطهم في هذه الحجرة".

## ٩ - شال الياسمين

سبق لدومني أن استمعت إلى الموسيقى اليونانية القديمة  
في أثينا، لكنها تبيئت أنها لم تكن شيئاً يذكر بالمقارنة مع  
سحر لأطغام سي عزفتها كارا وكانت كارا تعني مجموعة  
نارة بيونانية، وأخرى بالانكليزية. وسرت رجعة في أعماق  
دومني مع نهاية كلمات الأغنية العزيمة.

"لا أستطيع أن أموت إلا إذا كنت بجانب أيها الوجه  
لروحاني، أيها الملاك، مع آخر أنفاسي منسي حتى الموت".  
وأحاط بول كتفي دومني بذراعه هي قوة وسائلها

"هل تشعرين بالبرد؟"

فهمست وهي تشعر كأن صبح القدر تملأ خلال ظلمة الليل  
لنتسرع من فهاق قلبها تحت يد بول  
"كلاء أنها الموسيقى، وتلك الأغنية الصغيرة الخريمة".

وقهرت الكيسس واقفة على قدميها وهطعت روعة الغناء  
قائلة وبريق غريب في عينيها.

"دعوب يذهب جميعاً إلى مهلى "العجاج العينييسي"  
لرقص... سيكون ذلك أكثر بهجة من الجلوس هنا والاستماع  
إلى موسيقى كارا الخريمة، لا بد أن ال "فانهورن" هناك وربما  
يكون بدي سوثيرن، يضم إليهم، انه يحب الرقص".



ودفعها سيكوس وهو يقون.

"تفضلني يا سيدتي"

واستدار لينقي بابتسامة الى يول قائلاً:

"سيبر أمامك يا ابن الخال، النجوم منخفضة الليلة حتى يمكنك نقيبها."

وقدبت دومني وبول بوجه السيرة هي، وجاء المباء

"أنا جميله، هذه اسجوم، لم أكن أعرف أن النجوم يمكن أن تظهر ضخمة هكذا، أستطيع أن أحطف واحدة لقصي."

وسأل يول:

"هل تعتقدين انك ستحبين الحياة هي الجريرة؟"

واستشقت دومني عبر الأرهار الدائمة فوق الهضاب، ولم تستطع أن تنكر تجاوبها مع بحر أنديلوس الأسطوري، وقالت مبتسمة:

"أجن يابول، الجريرة ساحرة، مكان مناسب للسيسور ولاعبي."

وقالت وأصابها تداعب حقيقية يدها:

"فكرت يابول أنه سيكون لطيف إذا أقامب كارا معنا هرة، أنا على ثقة بأنها ستسر بذلك، انها متعلقة بك للغاية، ثم ألسي أجدها شخصية ممتعة."

ونم يرد بعدة دقائق، ثم قال:

"أعرف انك تحبين كارا، وبكسي اعتقد أن دافلك هو خوفك أن تنكوسي وحدك معي."

قالت وهي تشعر بمفتراته مصوبة نحوها

"انك لم تفكر في أن تجعسي أسيرتك؟"

وكامت تجلس بجانبه تصما، ووشاحها حول كتفها، وقد تعلت من أدبيها القوط ذو القلب اللؤلؤي الذي أهدها لها، وقال بون برفه:

"من من الضروري أن تتحدثي بهذه الطريقة المأساوية

يا حبيبتي؟"

واحتقن وجهها غضباً وهي تقول:

"لك أن تنتظر أمام لآخرين نانت الزوج بمفرم يابول، ولكن لا تفعل ذلك عندما يكون بمفرده، دعنا على لأقل يكون صادحين في أن وجهي وجسمي هما كن ما تريد، أما الانسانه داخل هذا الجسم فلا يهيك أبداً، انسي أنك تعرف شيك عن تلك الانسانية، ما ذا كانت عندما تروجتك تهتم بأخر أم لا، انك لم تفكر أبداً في أن تنأر، هل فكرت يابول؟ شيء لا يهيك ما ذهت قد حصلت على ما تريد."

وقبرمت السيرة من الميما، وعلى بعد حوالي نصف ميل كان يغف يخب تبعث منه أصوات الموسيقى والضحك، وبعدها سال يول:

"هل كنت مهتمة بشخص آخر؟"

ونفحست دومني جانب وجهه، كان في كمال الفن والأعرق، ولكنه أيضاً كان ياردا وجامدا كالرخام لذي تحت منه الاعريق ماتيلهم. وكلم تلهفت أن تعبر بأنها كانت تهتم برجل آخر. وأنها لم تكف عن الاهتمام به، وأنها مسحتة كل العواطف التي عن تستطيع أبداً أن تصحبها سواء.

وبكها حتى في أفعالها وغضبها.. كان يخوها من يول اليد العليا، واستدارت جانباً لتقول ببرود:

"وما الذي يمكن أن يعيبك في ذلك؟ ما كنت لتهتم بمشاعري، انك مخلوق من حجر."

قل ببطء

"ليس تعالما، الرجل المخلوق من حجر لا يحركه وجه أو جسم، ولا يجرحه برودهما."

وارتجفت ريم كأنه نمتها بكلماته. وأحكمت وضع ابوشاح هما الذي يتوقعه يول؟ ليس الحب بكل تأكيد، من امرأة مسحتة نفسها لتتخذ أسرتها من الفضيحة، كلا، انه لا يتوقع

منها العاطفة، ولكن حدث ذات ليلة في أثينا أنها تقيظ أن  
بول يعيش منطوياً معزولاً عن الناس، وأنه يعاني وحدة  
غريبة، كان في السادسة والثلاثين من عمره، ولكنه كان يبدو  
أحياناً أكبر من تلك السن بكثير

وعاودت دومني أحداث تلك الليلة بوضوح، كما قد أفضيا  
اليوم كله في «سباق» حيث بدأ يعاني الصداع وتأثرت هي  
لمعاته، وتعجنته العودة إلى الفندق، حيث تناولوا عشاءهما  
في شرفة جناحهما، ورغم أنها لم يتحدثا إلا قليلاً، ولكن  
شيئاً من اللفة كان يهربهما، وعندما ذهب إلى غرفته،  
وبلغت هي وحده في غرفتها سمعته يردد العرفة دهاناً  
وأياباً لاكثر من ساعة... دهاناً وياياً... مثل بحر في قفصه،  
بينما بقيت هي في فراشها قلقلة تسأل إذا كان صميره هو  
الذي يؤرقه، وسررت حجاب دخان سيكارة إلى غرفتها. و مرة  
أو أكثر همت بالنهوض لتذهب إليه، وكانت يدها على  
الغطاء، وعلى وشك أن تقذف به، عندما انقطع صوت  
خطواته، وسمعته يأوي إلى فراشه. وتبعت من الخطوط  
العميقة على صدحة وجهه صباح اليوم الذي، أنه لم يهدر  
على النوم وبخشونة عناقها في ثوبها الحريري، وسحق  
السؤال المهدب عن نفسها، وضحك بدون مزج قائلاً:

"من سمعتني وأنا أردد العرفة".

ومن جديد سارع عبوة ما لم يكن من الممكن أن تمده **أيام**  
برضاها. والآن... والسيارة هي طريقها إلى الملهى، التفت  
بول ليواجهها وقد أسد مرفقه إلى عجلة القيادة، وقال:

"يمكنك أن تأخذي كارا للأقامة معنا، أنا كنت بحبين ذلك،  
ولكن ستحرر نقدة لو علمت أنك ستقاسم شهر عمل مر".  
واهترت دومني للطريقة التي تكلم بها. وقالت محتدة  
"ألم ألعب دوري بتمنح حتى الآن، سي أحب لكارا أن تقيم  
معنا ليس بمصلحتي حسب، ولكن لأمني أشعر أنها

ليست سعيدة هي بيت عمك. لا بد أنك تتعمر بذلك يا بول".  
وهر رأسه قائلاً

"معد ترملت عمي، أصبح متعلقة للغاية ببيكوس... ومن  
الأفضل لكارا أن تعيش معنا، من قبل كنت غاليا ما أتغيب عن  
الحريرة، ولذلك كان بيتي موحشاً لها، الآن تغيرت الأمور،  
الآن لي روجه، أجل، لكل الاعتبارات، أدعو لكارا للأقامة  
معنا".

قالت دومني بهدوء

"أنا نحبك يا بول، وإن افعل شيئاً يمكن أن يدمر ذلك الحب  
فأنا لست منفعلة".

وربت على شعرها، وبدأ فمه خلال لحظة رقيقاً وهو يقول  
"آه، كلا، أنت حساسة إلى حد التطرف، ولديك تجديس من  
الصعوبة أن تفهمي، ريب مرور الوقت ستفهمي".  
ود عبت أوار الملهى وجه دومني وهي جالسة في سيارة،  
وحقق قلبها، نصف هذا الحفان كان تهيأ، ونصفه الآخر كان  
شوقاً مسجوراً لأن تحد باري في الملهى، ولأن يرفع معها.  
ونزلت من السيارة، وسمعت خلفها صفعة باب اقوية، ثم  
أحس بيد بول على مرفقها وهما يصعدان سلم الملهى، وفي  
الداخل قدمت له شاة مساعاً أسود، وقدمت لدومني قساعاً  
ذهبياً. وأطلقت دومني ضحكة منفعلة وهي تضع قناعها،  
وقالت

"أجس في هذا القناع كآسي فتاة من القرن السادس عشر".  
ولمحت برق النمر في عيني بول من خلال القناع الأسود،  
و غتر ثغره عن ابتسامة وهو يسير معها داخل الملهى، حيث  
كان البعض يرفع "الفالس"، والبعض الآخر جالساً في خلوة  
يحدث، وتلفتت دومني حولها، وقد انفرجت شفتها،  
واحتسب أنفاسها في خلفها عندما رأب شخصاً طويلاً، عريض  
الكفين، يشق طريقه خلال الراقصين، كان قناعه

قمرمرب، وكان من الحجم أن تعرفه في أي مكان، وسط  
الرحام، بسبب رأسه الذي يشبه رأس الأسد،  
وحياهما، ثم سأل بول

"هل تسمح لي بأن أرقص مع روجتك، ياسيد سنيفاوس؟"  
ورد بول بغير باحواقة، وهو يستحب، منها كان باري  
يستحب دومني دخل حبة لرقص وقالت دومني لنفسها أمه  
لدخان اندي أغشى عينيها، عندها ثلاث سموات اليعاد،  
وتحركت هي من جديد على أصوات الموسيقى مع باري، ولمدة  
نحطاب ظلا يرقصان بدون كلام، وهما يدوران كما لو كانا  
وسط السحاب، وأخيرا همس باسمها، وقال:

"دومني... لقد أوشك قلبي أن يكف عن النبض عندها ظهرت  
في الشرفة عصر اليوم - كارا أخبرني أن أحابا تروج هناك  
تدعى دومني ونكي بم أصدق، لم أكن أريد أن أصدق أنها  
أنت... ليست دومني التي تخصني."

وملأت عيناها بدموع وهو يتكلم، وتعترب، فأعانها  
باري، وأربعها دشا، أدكن بول يتحدث مع لكسيس وكانت  
توجد وراء خلف البار تعكس حبة الرقص من فيها من  
الراقصين وابتعدت بسرعة عن باري، وهمس وقد تحولت  
فرحتها بوجودها معه إلى خوف.  
"يجب أن نأخذ حذرا."

وايدست أمابعه في خصرها وهو يقول:

"لكني يجب أن أتحدث معك على انفراد."

وتغلغل عيناها في عينيها، وبدأ فمه خطيرا أرادت أن  
تضع يده على شفتيه، أن تجهض الكلمات، ولكنه عاد يقول  
بببرات صادرة من أعماقه

"اني أهبك يادومني لم أكف أبدا عن حبك."

أجاب

"اسي متزوجة يا باري، وهذا، وهذا، لتدبت عن الحب

يجب أن يقطع."

قال بخطورة

"وأنا أريد أن أصرح به... وسأفعل، لا لم يخرجني معي إلى  
الحديقة، لتخبريني لماذا تزوجت رجلا لا تحبيه."

قالت لاهنة

"كيف... كيف عرفت؟"

وبدأت تحس بالدوار من الرقص، ومن استمرار بقائها مع  
رجل آخر غير بول، وبظرب بي روجها من فوق كتف باري،  
كان خائبا مع الكسيس... وكان يبدو مستغرقا معها في  
الأحاديت، حين كانت عيناها مسمرتين على وجهه من خلال  
الضلع

وقال باري بتعجلها

"دعينا نستحب الآن... أن روجك منكم مع الكسيس ذات  
الأمراء..."

"هانت بحوف... لا يجب أن أفعل ذلك..."

ورغم ذلك كانت بحاجة شديدة لأن تتكلم مع باري على  
انفراد، ولكن بدا لها ذلك مستحيلا، هي ذلك المهي، وكف  
الموسيقى، وبدأت حركة جلوس راقصين عندها أعلن أن  
البرنامج سيبدأ، وضبت الأصواء مرة أخرى، وبدأ عزف  
موسيقى ناعمة، وخرجت من بين الستائر راقصة رشيقة،  
وبعدت نحو منتصف ناعمة، حيث تركزت حولها الأصواء  
شدت أشبه بهراشة كبيرة مشتعلة.

ووقعت دومني هي نزل بجانب باري، وقلبي يحقق بشدة  
لقربه، بينما رفعت راقصة يديها لسمر وين فوق رأسها  
وأخذت تدق بأصابعها على الصاجات، وأسرفت الموسيقى،  
وبدأت ترقص وكانت دقائق اصباحات أشبه بصوت قوقع  
الحجر نقرع بعضها بعضا، وتعايلت الرقصة إلى الأمام، وإلى  
الخلف، حتى لمس شعرها الأسود الطويل

الأرض ... واستحوذت على الانتباه وبممكن شخصان أن يتحركا  
... نصف في ظلال من الأبواب، برجاسة على الحقيقة ...  
وكان الرجل يتعجل، امرأة بيدين من الصفي اغفانهما .

وقال باري ضاحكا وهو يمسك بدومبي  
"تعالى هب بين لأشجار ... في ظلالها ووسط شداها ..."  
وارتحف من كلامه ... ومن لمساته وقال  
"لا تفعل ... بأعود ثانية إلى الداخل عندها تسكت  
الموسيقى ..."

قال بصوت غاضب، وغبور  
"هل أنت خائفة من روجك؟"  
"كلا ... ليس ذلك تماما ..."  
"هـ د د"، جاذبيته المسببة، هل هذا ما لم تستطيعي  
مقاومته؟"

وأمسكها من كتفيها بقوة وعزم يقول  
"يجب أن أعرف لماذا تروجت بول ستيغاموس، لماذا يا  
دومبي، في حين كان مفهومها يمتد، بدون كلمات، أما هي  
يوم ما يستروج؟"  
"في يوم ما يا باري؟ لقد رحلت، ولم تكتب أبدا، إعتقدت  
أنك ستيتني ..."

"نفس هذا صحيح، لقد تعاهدت على الانتظار في تلك  
الأمسية التي سمعت رخيبي، وأنت تعرفين أنني كنت أعني ما  
أقول عنده أخبرتك أنني سأعود إليك، كنت صغيرة يا دومبي،  
وكنت شديدة الاعتداد بخيالك، وكنت أريد أن أعمل الكثير  
بخيالي قبل أن أتزوج، كنت أريد أن أحقق في لوحاتي ما  
فعله رجال مثل "رودس" هي الحجر كعب بحاجة إلى الوحدة  
بمطبعة ألد عملي ..."

وسألته وهي تنظر في وجهه القريب منها:  
"وهل مجحت يا باري؟"  
قال وأصابعه تداعب خدها:

"ذهب إلى أماكن عديدة، وهنا هي اليونان وجدت الضياء  
بأهراً حتى أنني لم أستطع التوقف عن الرسم ..."  
وساد بينهما صمت لم يقطعه سوى صوت الموسيقى  
المصاحبة لرقصة

وهال باري  
"قدامى الأعراس كانوا دائما يصطادون العصافير في شبك،  
وكانوا أيضا يشعرون مدق العسل المر ..."  
"من هذا هو تعريفك برواجي؟"

"لست سعيدة مع نرجل ... أعرف ذلك ... رأيت عينيك ..."  
وأعرف كيف تمرق ررقسهما عندما تكونين سعيدة ..."  
"السعادة ليست كل شيء في الحياة يا باري ..."  
ورفع ذقنها ... وقال بخشونة

"الدموع جعلتك أجمل مما أتذكرك، ما ندي بيك وبين هـ د  
البوداسي؟ حب أم كراهية؟"  
"كل ما أستطيع أن أجيبك به أنه يقف بيني وبينك يا باري،  
أبني ملكة، به روجي ..."  
"وهل عرفت معه لحظة سعادة منذ أصبح روجك؟"  
"أجل، آه ... تبدو مصدوما يا باري كما لو كان ذلك أمرا  
مستحسنا ولكنه ليس وحشا ..."

وأغمضت عينيها وقالت وقد عاودها القلق  
"يحب أن يدخل ... الموسيقى توقفت، والناس تصفق ..."  
وحاولت أن تتخلص منه ذلك أن كن همسة، كل ظل، كل  
ناتبة كانت تقصيتها في الحديقة معه، كانت تصاعف من  
أوبرها ثم غالت  
"سحضر الحفلة مساء غد وسرى بعضا البعض وسرقص  
معا ..."

قال وأنفاسه في وجهها  
"دومبي ... أنتها الصغيرة الخمقاء ... أنا وأنت لا يمكن



أن يكون محرد صديقين أبداً، خلقنا لتكون متقاربين أكثر من ذلك\*.

قال حياس

\* ما كان، لم يعد له وجود الآن، ألا تستطيع أن تدرك ذلك؟  
قال بصرا، كلاء كوسي باحجة يادومسي، اذا عتدت\*  
قاطعه قائلة

\* واد، اعتقدت أبداً، أني يمكن أن أعيش في عالم من الأحلام، وأباهر بأنه لا وجود لبول - هانت محظي\*  
للحياة\*.

وبعيني عاصفتين نثقت بعينييه وهي تقول

\* به يوبسي\* ومستبد للعبة - وما من شيء يمكن أن يلقي حقيقة كوسي تزوجته\*.

تكلم باري بعصبية قائلاً

\* أنت منك؟ لقد عرفت ماذا يعني ذلك لي\*.

كانت مغلوبة على أمرها؛

\* انسي أنتمي إليه\* هذه حقيقة\*.

ورفع وجهها إليه، وبأس الضاع الذهني، وقال

\* أجل\* به صدم حق\* ولكي أمك شيئاً آخر\*.

سألت مرتجفة

\* ماذا تملك\*.

\* أمك قبلك يا دومسي، أما متأكد من ذلك\*.

وسجد كل شيء حينما نطق بذلك، حتى الأشجار والثمار بدت كأنها توفقت عن الحركة لتصفى إلى لحظة حلوة، خطيرة، تجمعت خلالها الذكريات، ووعود الحجاب، وأحلام الحرية، وأحست دومسي بنمات النيديين التي اعتادتها، والبرورته عيناها بالدموع، وأحس برغبة بارمة في أن تغضي لباري بكل شيء، وأن تقول له \*حدي بعيداً\* توجد راكب في العيباء لايجار\* وستطيع أن تكون في

الصباح على يعد أديال\* خدي بعيداً ماجاري\* وسعود  
التامين المطلقين كما كنا من قبل\*.

وارفع صوب باري يقول

\* لعاد تروجه يادومسي؟ أعرف أنه وسيم وأنه يملك، ولكن شيئاً من ذلك لا يمكن أن يكون دافعك إلا اذا كنت أحببت،  
أحري يادومسي\*.

\* أنا لا أستطيع أن أخبرك\* السبب يتعلق بشخص  
آخر\*.

\* رجل\*.

\* أجل\*.

\* ماذا حدث لك يادومسي؟ ما الذي غير الهنا لمرحة الجمية  
التي أحببت\*؟

وهرب رأسها بدون كلام\* ثم غلقت، وأسرعت بدخول  
الهلبي، وكانت بعض ورفات بنات يسبحن بعمل حد عفت  
بشعرها\* فأحدث تمطصها، ولكنها لم تكن تعرف أنها عنقت  
أبداً بوشاحها

\* وجدت لناس ترغم من جديد، تفرست في نراقصين\*  
البار منها جعلاً لبارين يظهرن متوسطي انقصة، بول  
مسمماً، والكيس معه\* ثم أحس بيد على ذراعها، ولففت  
تلفقي بعيني كارا السيل كانتا تتفحصن شعرها ووجهها، ثم

مدت كارا يدها وبفض لها وثحها وثوبها، وابتسمت قائلة  
\*محرني سيكي ليرقص مع سوري هاسهورن، وبول يرقص مع  
الكيس ولكن لا تهتمي\*.

ردت دومسي

\* أنا لا أهتم\*.

ثم لمح وجه كارا المقنع بعين، بينما انجذبت عيناها  
بأحبة لياب الرجائي الذي دنف منه باري سوتيرن، ونظر إلى  
دومسي وكارا.

ورغم أنه هو ودومني كانا مفعلين أحست هي أن كارا  
الواقفة بجانبها رفعت عنها القدعين، وبطرف الحذاء أخذت  
كارا تدوس الوريقات التي نهضتها عن ثوب دومني، لقد  
عرهت أن روجة أحياها وباري كانا معا في الحديقة، ولكن  
ليس كغريبين كما كانا يتظاهران.

## ١٠ - الكهف الذي سقط

لم يعمل بول طوال الأسبوع الأول، وأمضيا أيامهما على  
الشاطئ، الممرل تحت الشجر، وبسط مياه البحر الزرقاء، وكانا  
سبحان ويبصران في رورق صغير، وبدا ادومني خلال هذه  
الأيام والليالي التي قضتها وحدها مع بول، أنه يرمي إلى محو  
كل ذكرى نهضتها مع باري أو مع سواء وذلك بعدما اعطها  
باري إحدى لوحاته شعاع بركة تهديها إلى بول، وما  
هي سوى دهانق حبي علم بول أنها عرهب باري في اسكنتر  
عندما كان شابين وأنها أحبته حباً عذرياً هي ذلك الوقت.  
وعلى الجانب الآخر من المركب، جلست ترهب بول،  
بشبه المرمضين، وشعره الأسود الممعد، وأحست بهيب  
في داخلها وقهرت لمسبح حتى الشاطئ، وأخذت تمسح  
بمياه عن عينيها، ثم رفعت يدها لتعصر شعرها وهي تجري  
فوق الرمال هي اسجاء ظل الكهف حيث تركا سلة الطعام بعيدا  
من لعنات الشمس.

ولحق بها بول، وأقبل من الشاطئ في اتجاهها، ومن خلال  
أهدائها راقبه هي ملابس البحر، ووجدتها تقطع شرائع  
لنظيف الاصفر المثلج، فقال وهو يجلس بجانبها، ويأخذ  
غريقة

"سي مستعد لذلك"!

واستهكت أسنانه البيضاء هي أكل «الملكة الذهبية»، سبعا  
كانت دومي تأكل شريحتها وقد ذهب قديمها العاريتين في  
لرجال.

واستقر سر فوق التلال وقد فرد جناحيه، ووضع نون شريحة  
اليطيح جانباً، حتى يتسنى له أن يراقب طيران الطائر الكبير  
واتسعت ابتسامته وهو يتأمل جناحي السر، وقال

"رائع... تماماً مثل ما جاء في الجمل... هل تعرفينه  
بـدومي؟"

وهزت رأسها بسفي، وكأب يفكر هي أنه موحش،  
وعنيف، تماماً مثل السر ندي يبحث عن فريسته.  
وابتسم بول قائلاً

"المثل بعدد عددا من العجائب... من بينها سر في الجو...  
وسفينة وسط البحر... ورجل مع فتاته..."

"ياله من أمر ظريف... هل لك في فطيرة باللحم؟"  
واخذت إمامة تنصل إلى سلة طعام... وامدحت يده إلى  
خصرها وهو يقول

"أجل، طعمي أوحش، فيدم لمدة ساعة، ويمكنك أن  
تستمتعي برؤية الأسماك الملونة، واستث عن الأعشاب  
المرجانية..."

واحتل وجهها لسخرية في صوته، وناولته فطيرة باللحم  
مع غلبة الربدة وبعض شرائح بسدورة ومكأ على مرفعه،  
واطلق يأكن وهو ينظر للبحر. وسكب دومي القهوة وأصافه  
إليها العسل، ييري الذي كان بول يحبه، وأحد الفجائن، ورهقه  
بحوها قائلاً باليونانية  
"في صحتك..."

وردت على تحيته بالانكليزية ثم ألتحبت عنه بوجهها وهي  
تشرب القهوة، وتأكل غداً، كانت صحتها تهمة لأمر

واحد فقط. كاتب تعتقد أنه يريد منها أن تصحط طفلاً

وما كان يستهين من طعامهما، حتى أغلقت سلة طعام،  
وبركة لنهوه في حوض وسط لصحور، حيث كانت الأسماك  
الصغيرة تقفز بين أصابعها، وتمدد بول غير بعيد عنها فوق  
الرمال، ظهره للشمس ووجهه بين دراعيه المعقودتين، ولم  
يش تدري ما ذا كان مسترخياً ليأخذ غفوة حق، أم أنه كان  
خداع السر الذي يفكر في مكيدة لفريسته.

وأخذت دومي تعبت بحب الرمان. وهي تفكر في  
الطريقة التي طوح بها بول بلوحة بري هائلة  
"أب لا أهتم بوجودها في بيبي... يجب أن تفكري بـعبرتي  
هي شيء آخر هدية لي..."

وهي اللبلة العاصية، من شدة غضبها منه، أرضت نفسها  
بالإلى باب غرفتها هي وجهه، وتمددت متوسرة، تنصت إلى  
صوت حركاته في الغرفة المجاورة، ولكنه لم يحاول أن يعالج  
بأبها. ونهت بها الأمر أخيراً إلى الاستعراق في النوم، ولم  
تسقط إلا على صوب ليلا وهي تفتح الستائر

وبم تكن ليلا بالمرأة التي تبسم كثير، ولكن ابتسامته  
عنت بغمها وهي تتأمل دومي وقد اعترش شعره العسلي  
الغبر الوسادة. وبدأ لون جلدها العسلي التاحب مسجماً في  
بهاضه مع لون شمس يومها «الأزرق». وجسب دومي في  
سريها، وقال وهي تراقب ليلا تمكث لها شيء الصباح

"كم يبدو لتعجب رائعة!"  
"هذه هي أجمل أيام الجزيرة طقساً يا سيدتي... العشب ينضج  
وبعض لونه وأحمان تمنلى بالعواشي وبالانعام..."

وسألت دومي وهي برشف الشاي الساخن  
"هل ولدت في الجزيرة ياليت؟"

"نبي من أبحال يا سيدتي، مكان قطع طريق في الماضي،  
والأساطير الخرافة، تعرفين طبعاً أن لدهاء الرومانسية

تسري في عروقي؟

وأومات دومني وهي مأخوذة بعض الشيء بما كان يبدو على ليتا من معرفتها للأشياء الخفية في الحبة، وقالت ليتا "لقد اعتدي على الحرية خلال الحرب بأسيدتي عندما كنت صبية، وأحرقت المزارع، وذهبت لحاياب الزيتون، وأخذت الفتيات أسيرات".

وشعرت دومني برحقة وهي تحدق في خادمتها، وأضافت ليتا بسرعة.

"كنت محظوظة، إذ خيأ جدي كل أفراد الأسرة في كهف وسط «نجان» بينما حارب أبي ودوني، ولم يكن ذلك آخر ما عاصه اليونان، فقد ظامت حركة التمرد، ومن جديد المتاعب والمصاولة والسلب والنهب".

قادت دومني برقة:

"لابد أنها كانت مرحلة حريمة ومعرفة لكم جميعاً".

ابتسمت ليتا بطريقة الجادة وقالت:

"وبكسها انتهت. والآن هنا هي الحرية يجد الناس السلام والعمل، ونظم الكافي".

وشاولت دومني بعض الحلوى، ثم ضحكت قائلة:

"بدأت أحب اللون الطمطم اليوناني يا ليتا، هو حبريتكم يفسح الشهية".

ورعقب ليتا سيدتها بنظرة منعصمة، ثم انقطعت فجان

الشيء الفارغ ونظرت فيه فقالت دومني:

"هل تريد فيه أن أأامي يوماً سعيداً؟"

وارتمعت أهدب دومني وهي تلقي نظرة سريعة على الباب المعلق بينها وبين بول، بينما قادت ليتا وهي سمع في أوراق التدي.

"سيحدث شيء مزعج. أرى ذلك بوضوح".

"عاصفة؟"

"سيحدث شيء غير سار بأسيدتي".

واخذت صوتها وهي تستطرد قائلة:

سبحت هذا اليوم".

وسكنت عن الكلام عندما سمعت محاولة لفتح لياب البغلق

واستدارت لتسمع تكرار الصوت، واحتقر وجه دومني تحت

وهج نظرات ليتا المتعجبة، ثم قالت:

"اهني الباب يا ليتا".

وحيت ليتا السيد تحية الصباح، ثم انصرفت من الغرفة على

محل، وبقيت دومني في مكانها وقد شحب وجهها بعض

الشيء وهي تنظر إلى بول، كان يرتدي قميصاً حريراً غامقاً،

وسطلوناً رمادياً، وقال وهو يشير ناحية لياب الذي فتحت

لها.

"فعلي ذلك ثمانية يافعاتي، ولن أنتظر حتى تسمع لي

خادمك بالملول بين يديك، سأعظم الباب".

وكان يبدو محاضياً بما فيه الكفاية لأن يفعل ذلك، أما

دومني فقد تملكها رغبة جامحة في الضحك، ورشفت يدها

ومضت على أصابعها عندما اقترب من سريرها وبدأ كلف

هائج، ووقف بتأملها، ولمحت نظراته تترلق من كتفها إلى

تشيفون الأرق الذي يغطي صدرها. وأسرعت تحجب نفسها

بالمطامير، فرمع حاجبه لتصرفها، ثم أطلق ضحكة قاسية عالية

كنش عن أسنانه البيضاء، وقال:

"أعلاق الأبواب، والتظاهر بالاحتشام من شأنه أن يضعف

حرارتي لا أن يخلصها".

وهي اللحظة الدالية كان جالساً على حافة السرير، محملاً

فيها. كان وجهه خائياً من التعبير، لم تعرف دومني ما إذ

كان متضامناً أو مسروراً، ثم هال وعيناه فوق الخاتم الذهبي

في يدها.

"أنا أدرك جيداً يا دومني أنك لا تريدني، ولكن أخشى





تحت عريشة ومن حولها شجر العفل، والصوبر، ومجموعه من  
الورود ذات الألوان الجميلة، والرائحة الزكية.

واستقرت دومي في قراءة القصة وجاء ياميس حوالي  
الساعة، بخادنة عشرة حاجلا سنة، تطعم التي أمر بها بول،  
ولم تكن سنة ثقيلة، ولكن ياميس أمر على أن يحملها إلى  
الشاطئ، وكانت دومي تشعر بامرار نحو خادم بول الحاد،  
الذي كان يستطيع أن يذكر كل أسماء طيور الجزيرة وورودها  
النامية على جاسي البحر المؤدي إلى البحر، ولم يكن هو ولدا  
قد أحب، وبدا لدومي أنهما بطريفة ما ينظران إليها كطفلة،  
وكانا يديران البيت بمهارة، حتى أنه لم يكن لدى دومي ما  
تفعله سوى اكتشاف الغرف الكبيرة، والسلاسل الملونة المؤدية  
إلى طائر الأمعة القديمة.

وقالت دومي:

"كم تبدو الجزيرة هادئة وحبيبة اليوم يا ياميس."

ووقفت مبهورة أمام منظر البحر، وأشعة الشمس تنعكس  
فوقه والرمال والصخور، وابتسم ياميس وهو يرى مدى ابتهاج  
دومي التي أخذ السهم يداعب خصلات شعرها وصاحت وهي  
تتبر بهمة البحيرة التي ظهر فيها الدرسيل يعبر كما لو كانت  
له أجنحة، ثم يفوس في الأعماق.

"أوه، أنظر هناك يا ياميس!"

وكانت دومي تأخذ حمام شمس عديم الخلق بها بول على  
شاطئ، لم تسمع وقع أقدامه وهو قادم فوق الرمال، لكنها  
أصحت بضده الطويل هوقها، وعندما جلست ورأت وجهه، بدا  
لها أنه مرهق وسألته

"هل تريد الغداء حالا؟"

"كلا إلا إذا كنت تريدني، أعتقد أننا ربما نخرج في سبعة  
بحرية أولا."

وهفت عاكلة.

"أنت على حق."

ومن جديد تمهل عيناها فوق وجهه، وتبست أنه، يعانى  
من الصداع، وأنه كان يتمنى أن يخفف سيم البحر من حدة  
الألم، ولمست ذراعها بأصابع مرتجفة، وهلت  
"بول، ماذا يقول الأطباء عن صداعك؟"

ووجهها بأبسامة باخرة، وعينين غير مقرونتين خلف  
نظارة الشمس، وقال

"يا عيريني، هل أنت فعلا مهتمة بي؟"

"أنا لا أحب أن أرى أحدا يتألم."

ثم سحبت يدها من فوق ذراعها، وقالت،

"أنه إذا كنت تطعم."

"سينالني الألم بعد فترة."

وهفر إلى الورق، وهناك الرباط ودفعه في المياه، وضع  
مقبضه وساعد دومي على العفر بدورها، وظل ممسكا بها  
لحظة، وهو يبتسم مثل قرصان أعرجي، وهمس.

"أحيانا، يا أسيرتي الصغيرة، لا أظن أنك تكرهيني."

ورفعت بصرها نحوه، ومن جديد تذكرت الكلمات التي نوه  
بها في ذلك الصباح، وقالت بفتور

"أب، أعدل ما في وسعي لأفاد صفقة سيئة. لكني أعرف الآن  
أن عقوبتي ليست مؤبدة."

وصحك وسرورها، وهند الورق، ولفترة ظلت الدرافيل تجذب  
انتباه دومي، وأعدت لعبتها مربوطة، وصاحت ليصده  
صوبها خلال هدير المحرك  
"كشف جان صداعك؟"

صاح بدوره من فوق كتفه:

"أحسن كثيرا... الدرافيل تجيد اللعب... هيه؟ انظري إلى  
ذلك الرومري اللون!"

وكان اندرفيل لضخم كبيراً، حتى أنه استطاع أن يميل  
الورق عدة مرات، وأوتك أن يلقي دومني هي الجاء،  
وضحكت من أعماقها، ولكن بول حذرهما قائلاً  
"لا يوجد فقط دراهيل في هذه المياه".

وكان يقصد سمك القرش، ورفض أن يدع دومني تقفر  
للسباحة حتى يدخلها منطقة الأمان هي البحيرة، حيث الأسماك  
صغيرة جداً، ولا تجتذب الأنواع المفترسة.

وعاداً إلى الشاطئ، وجلس دومني على صخرة، شاردة  
تماماً مع أفكارها، فجفت الرمل بين أصابعها، ومهضت  
وركضت في اتجاه لعياء بتصلها، لكنها أحست بشيء ما  
يطعن باطن قدمي اليسرى، فاطنبت صرخة ألم.

و تضع أنها داست فوق قبضتها في صغير، وسببت أن بعض  
لشوك بعد تحت جلدها، وكانت دومني تعرف أنها لابد أن  
تتفحج إذا لم تنزع، وجلست فوق صخرة قريبة، وحاولت أن  
تنزع الشوك بأظفارها.

وجد بول بجانبها متسكلاً

"ماذا فعلت؟"

وأخبرته، فركع أمامها، وأمسك بقدمها الصغيرة هي  
يدها. وبعد لحظة نظر إليها قائلاً

"لابد من منع لشوك يملعظ، نكن إذا سرت على قدميك،  
فستفعل، لا شوك دخن جلدك، معافي، بأحملك حتى  
البيت".

وضحكت بعصبية وهي تبتعد عنه قائدة

"أن يمكنك أن تصعد بي النة يابون، ارداد ورمي ضد جئت  
إلى سومان".

لكنه أحاطها بدراعيه، وجعلها بسهولة وسألها:

"أمارت تشعيرين بالتوتر هي يادومني؟"

وعبر بها الشاطئ، ومنه تحب قوس الكهف الموصل

إلى البيت وأحست مخفقات قلبه كالللمات. وفجأة، وكما  
حدث في المركب منذ ساعة أو أكثر، أحست في كتابها  
سعد، وبدأت يدرك حقيقة لم تكن واضحة بعد هي دهنها،  
ولكنها هي المركب استطاعت أن تهرب من رقبة بول هي  
الجاب الآخر، أما هنا بين دراغيه... فكانت أسيرة.  
واردات ظلمة الكهف وهما يتوغلان داخله، وفجأة، مثل رئيس  
حيوان مخفي، ترددت أصداً من هوههم، وأصوت ضوضاء  
مخيفة، وتسمر بول في مكانه، وقد ارداد ضغط دراغيه حول  
دومني، التي أمسكت بكتفه بعاري بقوة، ولجست دون وعي  
أظافرها في جلده وهي تقول

"ما هـ يابون؟"

ولم يجيبها في الحال، لكنه ظل يرهف لسمع، وهو يحدث  
كدهظ في وجود الخطر المفاجيء، ومن جديد ارتفع صوت  
شيء يتصدع، واهتزت الأرض، وأوقف بول دومني على  
قدميها وقال منهوفاً

"اركضي بصغيري، الكهف سينقصر علينا".

وخفق قلبها وهي تركض، كانت تعرف أنها هي بعد  
فأش من الباب الذي يمكن أن يسقدهما من خطر المحذق  
بالكهف، ويوصلهما إلى البيت، ومن جديد ارتفعت أصوات  
التصدع، وكانت دومني تنظر إلى فوق مدعورة، عندما انفتح  
سعد الكهف وسهاوب الصخور وقدهت بها على ركبتيها،  
وارعمتها على إطلاق صرخة، سرعان ما خمدت وسط سيل  
لنمار ولألم.

واستدار بسرعة ولم يكن من المستطاع رؤية تعابيرها، لأن الظلمة كانت كثيفة، وصاح بول باليومانية  
 "أجبرني، كيف حالها الآن يا ميروس؟"  
 وألقى الطبيب اليوناني نظرة على الداحز الرقيق الذي  
 فصل بين بول ستيفانوس وإنتال التي تمهي بعيد بالصخور  
 المحطمة، وقال

"دخل يا بول، تستطيع في الداخل أن تتحدث أفضل".  
 "ما هي الحقيقة يا ميروس؟ هل تحبني أم تحطم روحي  
 بماذا؟ هل غابت؟"

وأمسك ميروس بذراع بول ودفعه إلى الداخل وهو يقول  
 "لا تستطيع أن تتكلم هنا".  
 وأغلق النوافذ، وأسدل الستائر، وصاح أمرا،  
 "سور يا رجل... السور".

وألقى سور فوق لمكتب، فألقى ظللا من روية عريضة على  
 وجه بول، أظهرت شموع وجنتيه، وكانت لندبة داكنة،  
 وحدودها واضحة ومحتقة.

والتقط بول أنفاسه بصعوبة وقال.  
 "دومني... لم تسترد وعيها، ألم تطلب أحدا؟"  
 "روحتك ثم تمت".

وملا الطبيب كأسا صغيرة، ووضعها في يد بول مستطردا  
 "نعال، اشرب هذا يا صديقي".

وبهرة من رأسه الداكن رهض، وأعاد الكأس، ثم حملق  
 بعينه المبرتين في الطبيب متسائلا

"ما الذي فعلته مع كل هذه الصحرة؟ هل ستصبح مقعدة؟"  
 وكان للطبيب وجه طيب، تحت شعر داكن تتخلله شعيرات  
 رمادية ونظر إلى بول، وأخرج سيكارة ووضعها بين شفتيه،  
 وطلق دخانها، ثم قال في هدوء  
 "روحتك الشابة الجميلة هفت لطفل".

## ١١ - وفقدت الطفل ..

كانت غرفة مكتب بول ظيلة، وقد أضفى عليها السقف  
 المصنوع من الخشب، والجدران البيضاء، جوا من الهدوء لم  
 يكن له صدى لدى الرجل الذي كان يذرعها ذهبا وأياها كالنمر  
 انهال.

وكان قد مضى وقت طويل منذ أن غير ملابسه المعرقّة،  
 وضمد له يمين جروح يديه، ذلك أن الطبيب كان مشغولا في  
 الدور العلوي، وقد بدأ لبول أنه انقضت عليه ساعات هناك.

وألقى بسيكارة ر قبل أن يكمله، وخرج إلى الشرفة التي  
 لم يكن يفصلها عن الصخور والبحر إلا دكان سوى سور حديدي  
 رقيق، كانت السجوم تلعب في السماء، وقد امتدّت في جو  
 الليل الرطب رائحة الصوبر أشبه بالمشك المعطر، وكانت  
 أموار مراكب الصيد تبدو على مرمى البصر متناثرة، كأنطيور  
 المشتعلة. وتكا بول يديه المجرحتين المضمدتين على  
 السور الحديدي، ولو كان ذلك يسبب ألما، فلم يكن يظهر عليه  
 أنه يشعر به. كان بعض منتظرا، وهو يتأمل أمواج البحر  
 تنهائس عندها تلتقي بالصخور.

وأحس بول بوقع خطوات فوق السجادة التي تغطي أرض  
 الغرفة وشعر بوجود الرجل وراءه أكثر مما سمعه.



وينظر بول الى ميتروس متدوها ، وقال  
"ماذا ؟ ولكن ، أنا ، أنا لم تكن لدي فكرة ، طفل ؟ انها لم  
تخبرني بشيء ."

وتفحص ميتروس بول ، ثم قال  
"ربما لم تكن متأكدة ، عروس شابة ، وبعيدة عن أهلها ، ثم ان  
الحمل كان في شهرين فقط ."  
"شهران ؟"

وصفت بول كأنه ينظر الى الراء ، ويعود بذاكرته الى أول  
ليلة أمضاها مع دومني ، وخيفت على عيبه بحابة حزن .  
وربت ميتروس على ذراعه قائلاً

"اسي أسف ، فهد ، انظر بالنسبة اليك يعني الكثير ، أعرف  
ذلك . ولكن الفتاة ستعذب على الصدمة ، وتستطيع ان تنجب  
أطفالاً آخرين ، الوقت امامكما ."

"كلا ، لن تكون هناك فرصة أخرى . - الطفل الذي كان يمكن  
ان تحبه ، ذهب ، ذهب مثل السعادة ، مروءة ، ولن يعثر عليه  
ثانية بها ."

وقال ميتروس بغضب :

"يالها من طريقة يتحدث بها رجلاً هذه المرأة . . يجب ألا  
نحرم من طفل تحبه ."

قاطعه بول قائلاً بهمارة .

"طفل ؟ يا صديقي ، تلك المرأة نكرهني ، تكره رؤيتي ،  
وصوتي ، ولمستي ، أه . . . اب تبدو مصدوماً ، ولكن أؤكد لك  
أن هذه هي الحقيقة ، وبعدها تعيش مع هذه الحقيقة جسداً الى  
جنب لعدة شهرين ، كاهلين بأستحمام ساعات قليلة عابرة ، هان  
الشك لا يساورك ، انها مظرة في العيسير ، رجفة عندما أحاول  
اللمس ، حشرة في الصوت بحقي دموعاً ، لم تكن تعرفها قبل  
أن تلقي بي . . ."

"انها تزوجتك يا بول ؟"

"أنت يوناني يا ميتروس . وتعرف مثلي تماماً أن المرأة لا  
يدخل الحب في حسابها دائماً عند الزواج ."  
"أنا . . . أنا أأهم ."

وأطفا الدكتور ديميتريوس سويرا سكارته ، واستطرد  
يقول

"هل لهذا الموقف دخل برضك إعادة التفكير في قرارك لأحر  
ذلك الذي ناهضه في عيادي صباح ليوم ؟"  
"نيس تماماً يا ميتروس ."

وبهض بول من أمام مكتبه ، وخطا نحو الباب قائلاً .

"والآن ، هل أستطيع أن أصعد لأرى زوجتي ؟"

"انها تحت تأثير المخدر يا بول ، وستنام حتى صباح الغد ،  
مركتها في رعايته ليلاً ، ولكن تستطيع طبعاً أن تنهي عليها  
مظرة ."

وبقدم ميتروس من بون ، ولأنه كان أقصر منه قامه ، تطلع  
إليه قائلاً

"أول أن ننام يا صديقي ، انقذ شابة ، وسليمة البنية . .  
وستنرد صحتها بسرعة ."

"هل ستأتي مرة أخرى في الصباح يا ميتروس ؟"  
"ببطبع ."

وبحلت أصابع بول شعره الداكن ، وقال :

"لو أنني تعذمت دومني في خروج من كهف ، أدن لتلقيت أن  
صدمة انهيار الصخرة ، ولكي طلبت منها أن تركض أمامي  
معتقداً انها ستصل الى الباب في الوقت المناسب ."  
"يجب ألا تلوم نفسك على ذلك ."

وصلا الى انصالة ، فأخذ ميتروس حقيبته السوداء ، وسترته  
وتصافحا أمام نيا . ثم صعد بول الى الدور العلوي ، وبهدؤ  
دخل غرفة دومني ، حيث جلست ليلاً على مقعد يجور السرير ،  
تشمع نفسها بمشغل التريكو على ضوء كفت . واقترب

بول من السرير حيث كان دومني ضئيلة للغاية، تائهة بتأثير المحذر الذي أعطي لها عقب سقوط الصخرة فوقها، وفقدما، نطقل وكانت أهدابها الطويلة ترسم خطين دكيين فوق وجنتيه وبدها اليسرى فوق الفطاء، وقد بدى الخاتم الذهبي ثقيل على الأصبع البخيل.

وكان السكون في الغرفة شاملا، إذ كفت ليثا عن تحريك أبر الشغل، وحينئذ قال بول بصوت خافت "يؤكد أن تدهبي لتسريحي بالينا، سأبقى هنا".

وترددت المرأة، ولكن كان واضحا من وجه بول أنه مصمم على البقاء، لذلك خرجت بعدها ألقت نظرة على دومني، ولكنها لم تتوجه مباشرة إلى سريرها، بل تحدثت طريقها إلى الدور السفلي، حيث أعدت لبول هجان قهوة تركي داكن، ووضعت على صينية بعض السكويب، ثم حملتها إليه. وكان قد وضع مقعدا بجانب الفراش حيث جلس ووضع ليثا الصينية في متناول يده، ثم تركته وحده مع روحه المائتة.

وعندما تحركت دومني كانت أشعة الحجر تشق الظلام، وأحست احساسا مبهما بوجود شخص معها، يساعدها على الجلوس لتبذل حلقها الجاف بقطرات من عصير الليمون، كان كن جسمها يؤلمها وشعرت بنفل رأسها. وتساءلت وهمست "شكرا".

لم تكن قادرة على رفع حفيها، لكنها أحست بكيفية فوقها أشبه بالجناحين واستغرقت في اليوم من جديد قبل أن تستطيع التفكير فيما يكون هذا الشخص، وعندما تسببت من جديد، كانت ليثا هي الموجودة، ومعها رجل طيب المحيا هو الدكتور ديميتريوس سويرا.

وبعد ثمانية أيام كان يناقش معها في حالة الاحداث التي تعرضت لها، وشرح لها أن الصدفة هي التي سببت لها هذه الحالة. وجلست دومني ساكنة تماما، مستعدة على

وسائد الأريكة. قفي الحادثة كان أول احساسها بوجود الطفل، ولكن عقها لم يكن قد تقبل الدهشة بعد... ولا... قاب لأوان لأن تفرح أو تحزن. وقالت بهذا.

"كان بول يتمنى الطفل، لابد أنه تضايق عندما أخبرته باسمي هقدته".

"أنا متأكد أنه كان سيهم أكثر لو أنه فقدك". ورغم أن مكثرية الطبيب لم تكن هي طلاقة انكليزية بول، إلا أن دومني فهمت كل كلماته البهجة، ثم أخذت لتفحص ساكنة يدها المعقودتين فوق ثوبها الحريري الطويل، وتأملها الطبيب ولمعجب من رصانتها، فاستدته اليوسية لاهد أن تبكي بحرقة لفقد طفلها الأول ولكن هذه الانكليزية جميلة بفاخرة حسب تعيين جاهل، وقد بدت كأن الأمر لا يحركها وأتعل مبروس سويرا بذكارة وهو يفكر في أن الأمر لابد أن يكون كما رعم بول هذه لعدة ذات العينين الرقاويين بفائرتين، وأرأس الصكي، لم تكن تخب روحها.

وكذا يجلسان في لشرقة، حيث قدم لهما ياميس شاي تركي في أكواب طويلة، مع تصدئ وفطائر وحلوى، وكان بول قد ذهب في سيارته إلى عمه، لكي يحضر كارا، وعندما رأى ديمتريوس أن دومني تكفي شرب شاي ولا تعد يدها نملا طبقها، قال لها.

"أحب أن محاولي أكل بعض الشطائر، سأخدمك بنفسني".

"أنت حائفة مادكتور". "ولكنك يجب أن تأكلي يا بنتي، والا استغرقت وقتا طويلا هي اشفاء، هالك شطيرة دجاج، وأخرى بالجبن، وأنا أصر على أن تأكلي".

وكانت طيبة الطبيب ومودته لا يمكن نغفالها، ووجدت دومني نفسها تاكل، وتبذل معه بعض انطباعاتها عن

ملاد اليونان، وعلمت منه أنه أرمل، وله ابن واحد يدرس الطب في أثينا.

وقال الدكتور سويرا مبتسما.

"لن يسره أن يعمل طبيبا في جربة، أما أنا، فاسعمل بلائمي هنا، أمارس مهنتي في عيادة الأطفال التي تبرع بها روجك والمرضى الأثرياء، مثله يعاونسون في دفع نفقات غير بقادرين".

"هل تعالج بول يادكتور من صداعه؟"

وكان طبيب يهيم باختيار فطيرة، وظلت الشوكة بين أصابعه على الأقل مدة دقيقة، وأحيرا بعدما وقع اختياره على لقطة التي يريد، أثر تباطؤ لا يعتضيه مجرد الاختيار، رفع عينيه نحو دومي وسألها:

"هل حدثك بول عن صداعه؟"

"نيس تصافى، يبدو متضايفا كلما فتحت الموضوع، لأنه هوى للغاية فيما عدا هذا، صداع، لذلك أعقد أنه يكره الاعتراف بساحية ضعف لديه".

وتعامل الطبيب بأكل الفطيرة، وبمشاهدة السجل يمتص، رحيق من الأرواح التي تنسلق الجدران، ثم قال فجأة "ربما، فبول يوناني للغاية، واليونانيون ليسوا سهلي الفهم، انهم أشبه بجبن جلد لثني يظهر منها خروء مسيط فوق السطح ويختفي الأكثر في الأعماق".

همست دومي

"جبال الجليد يمكن أن تسبب الكثير من الأضرار".

"ولكنها يمكن أن تدوب، فالثلج ليس حديد".

"أتحيل أن ذلك يحتاج إلى درجة حرارة عالية".

وضحكت دومي، وابتسم الطبيب للرئيس وللحيوية والجمال التي أضفتها الصخرة على الوجه الذي لم يكن قد عرفه إلا متأنها، فأترا، رصينا، ولمعت عيناها، وأدرك أنه أخطأ

في اعتقاده أنها باردة، كم كانت عيناها تعكسان ورقة لسماء والبحر، وكم كان غمها لديدا، لم تكن سوى طفلة، حساسة، قجول، وليس من اسوع الذي يستطيع أن يفصح عن مشاعره، وانشى إلى الإحلام، ونظر إليها مباشرة، وقال

"لا توجد سوى شعلة واحدة يمكن أن تقهر كن شيء، وقليلون يستطيعون التصدي لها".

"هل هذا لغز يادكتور؟"

"يمكن يا صغيرتي أن تطلق عليه وصف لغز، إنه أعقد من هي الدنيا، ولم تفك طلاسمها تماما رغم مرور كل هذه السنين منذ قدمت حواء التفاح المجرمة لأدم".

وبتابكت يدا دومي، كأن كل منهما تحدد برادة يدي الأخرى، وقالت:

"فهمت، أنك تتكلم عن الحب يادكتور".

"أنت متفقة معي أنه موضوع ساهر، يا سيدتي؟"

وأناخض بنظرها بعيدا، وتساءلت إذا كانت هي عيوبيتها أعضت إليه بمكسوف نفسها، كان طيب، وباضحا، وكان يذكرها بعض الشيء بالعم صارت، ولكن أن تعضي لأخر بأسرارها كان راحة وقتية يعقبها الضيق، والدم.

ونظرت دومي إلى الطيب، وأحست من نظرة عينيه أنه يعرف شيئا، هل تراها ذكرت ماري خلال ساعات الفيوبية بعد الحادثة؟

وبهض الدكتور سويرا واقفا، معب أن عليه زيارة مرضى آخرين، وعندها أمسك بيد دومي، كان لضغطه عليها معنى، وابتسم قائلا

"يجب أن نتحدث معا مرة أخرى، قريبا عندها نشعرين على استعداد".

"نتحدث عن ماذا يادكتور؟"

"عن الأشياء التي لا نستطيع أن نهرب منها

يا طفلي، والأشياء المصنوعة للولادة... والحب... والموت...  
وحدهم هي عيسى وعيسى، تألهت، والبنت عينا  
الداكنة بعينيها، نطفه، ثم أحس رأسه الرمادي وهبل يدها  
وحياها بايوانية ومضى.

وبعد نصف دقيقة حلت الشرقة إلا من وجودها، وجلست  
سائكة تماما، وقد تمكك عينا أحساس عريب بالوحدة، وكان  
البيت كله عارفا هي الصمت، كانت هرة القبلولة، التي يخلد  
فيها الجميع إلى لراحه، حتى لطيور تدو هادئة مكمنة  
فوق الأغصان.

وبسرت دومني في جلستها، وأغمضت عينيها، وسمعت  
خفيف أشجار مصوب، وهمس أمواج لبحر، وبدأ بها كما لو  
كان طعنها نمت بدق على قلبها، لقد ذهب الحب الذي كان  
يمكن أن يأتي به، وأن يمحى، وانحدرت ذمعة على حد  
دومني.

وسمت لفترة قصيرة، واستيقظت فجأة وهي تنثر بالبرد.  
ثم تعدد الخمس تضيء الترفه، ولا حظ أنه خلال عقوقها،  
رحف الضباب الذي كان يعلو البحر وعطى الحرية كنها، وكون  
هراة حول البيت وكانت دومني قد نبهت إلى موقع مثل هذا  
الضباب، وبكها لم تكن تتصور أنه يمكن أن يصل إلى نهاية  
بحريرة بهذه السرعة، وتلك الكثافة وبشيء من انتور تركت  
الأريكة، وذهب إلى مهية الترفه لتبظر من فوق المصخور إلى  
البحر، وبكها بصعوبة استطاعت التمييز، وأن سمعت صوت  
تلاطم الأمواج ورحف الضباب ببطء سلامس شعرها...  
وسورها، أحساس بأنها معيقة مع البيت هي السحب

وسمعت وقع أقدام ولكن عندما التفتت سريعا، وجدت  
يايس قادما في اتجاهها، وصاحت  
"يبدو أننا معزلون هنا يا يايس".  
وأوما بجديفة قنلا.

"نعم ياسيدي، الرطوبة شديدة هنا هي انخرج، ويجب أن  
تدخلي".

"سأدخل يا يايس".

وأشعرها اهتمامه بالدفء، وقادت.

"هنا، هو، أشعر كأنني هليل تسير على أسوار طروادة... من  
يعتقد أن الضباب سيستمر طويلا؟"

"بطيخة ساعات ياسيدي".

"أوه... إذا سيؤخر ذلك عودة روحي وأخته، ألا تعتقد ذلك؟  
الطريق الموصلة إلى هـ ملوينة ومحدرة، ومع صعوبة الرؤية  
بسبب الضباب، لا أعتقد أن بول سيجازف بقيادة السيارة  
ومعه أخيه".

"أشك في ذلك ياسيدي".

وأمسك يايس بالباب ريثما مهدت دومني إلى اندخ،  
حيث وجذب المدهاة موقدة، وتهدمت معها فرحة وهي تجمع  
أطراف ثوبها، ولم تستطع بسبب جروحها أن تنحي كما  
كانت تحب لتستمتع بدهنها، وجلست على مقعد بول، وهذب  
يديها لتدفئهما، وكانت ليما تعد عشاء خاصا احتفالا بقدوم  
كارا، ولما كان من الأرجح أنهما سيتأخران بسبب الضباب،  
أحمرت دومني يايس أنها ستنناول شئنا خفيفا بجانب  
المدهاة حو لي الساعة الساعة، وأصابت أنها ترجو ألا يضيق  
لينا الأخير في تقديم الوجبة الخاصة باستظابهما.

وايقسم يايس وهو رأسه قنلا

"سعادتنا هي أن يتردي صحتك من جديد، من تحبين فجان  
شاي الآن، ياسيدي؟"

وأومات بالسكر والقبول، بينما انحورت عيناها بالدموع  
وهي تراقب يايس عند خروجه من الغرفة وبدلت دومني جهد  
هي مقاومة الدموع التي أحست بالرغبة في درفها، وكان  
هجان الشاي معتق، بحسب المدهاة حيث مدت



قدميها . وكان الضباب قد اشد أكثر، وسمع دومني دقات  
الساعة وقررت أن تصعد إلى غرفتها لترمي ثوبها، كانت  
تشعر بالارهاق، ولكنها صعدت على ألا تأوي إلى الفراش،  
فبضباب كان يحسن أن يجلي في أية لحظة، وسيكون ترجيحاً  
أيقظا لكارا وبول أن يحذاها في منظرهما .

وارتدت ثوب أررق طويل الأكمام لخصي حروح دراعياها عن  
عيني كارا، لئلا تريد من قلبها، ولمحت وجهها شاحبا في  
المرآة، ووجود هالات سوداء حول عينيها . استعملت أدوات  
أبريق لاخفائها . وبدا لها ثوب موصفا بمصنعي الشيء،  
وحدثت لعقد يصفي عليه رومبا . وفتحت الدرج الذي يحفظ  
فيه مجوهراتها، ووجدت بدلا من العلبة الجديدة البسيطة  
صدوقاً رائعا خرب عليه أشكال طيور، وأصداف . وسمع  
دومني الصندوقي، أجل . . . كانت مجوهراتها فيه، مرسية في  
أدراج دقيقه، يصنع أشبه بالاعشاش .

كان صدوق الأتري لحفظ المجوهرات هدية من مول،  
تعبيراً صامتا عن مشاركته ومودته، لأنه طيبة الأيام النحاسية  
المصروفة، لم يذكر مرة واحدة تبثا عن عقد الطفل، وكان  
تصرفه في لوائح تجعلا عريسا .

ولمست هديته، وهي تشع بهجة لم تتفقد دخل قلبها،  
وأخرجت العقد البسيط الذي كان ملكا لأمتها، وبدي لاسمه يوم  
روجها، دلالىء تعبير دليل نفس للعروس، لكنها توقعات  
دموعاً بعد حب انتعد في تلك اليوم، ولم يكن مهمها أنها  
تتحدى لقدر .

في طريقها إلى الدور السفلي، توقفت أمام مائدة، وأطلت  
منها ورأت أن الضباب ما زال يعيش . لمكان كله، ولمحت  
الأشجار في انقاة أشبه بالأنشاج، وشعرت مالبين خالياً،  
خاوياء، وسرت أن وجدت ياسيس في غرفة الخلوس، يستدل  
السنائر، وكانت لأوار مضاعة، وبار الهداة مشعلة .

وبدا لها أن التوتر يفقد حده بتأثير هذه هذه معرفة  
وأناعتها وانتبعت وهي تشم رائحة البورود التي وضعها  
دومني على حصة قرب الهداة، وفتحت الراديو فاستمع  
منه الحار إحدى انفرق .

وبها لك دومني على انيقعد . بدي قدمه لها ياسيس، وقالت  
"أما زال انضاب كئيفا ؟"

وسكت لها كاسا من شراب وقال  
"ما زال على حده ياسيديتي"

وبأملت كاس . شراب اليوسبي الذي كان يول يقول دائما  
أنه يجب أن يؤكل معه التين وقطائر العسل، لأنه ما من مائدة  
عشاء في القديم كانت تكمل بدونه أبد . وشعرت برجفة اد  
بدا لها أنها تسمع صريره، ودفات يهيم يرتفع . .

وسمع ياسيس يقول وهو يحرك دار الهداة لتردد اشتعلا .  
"أنا متأكد أن السيد ستيفانوس لن يخاطر بالعودة في هذا  
الضباب ياسيديتي، والآن سأحضر لك الشوربا ."

ونماوت دومني الطعام لتسعد ياسيس وروجنه، وليس عن  
شهية، ورهعت المائدة، وكانت تشرب الفهوة وهي جالسة على  
معد بول، عندما سمعت طرقا عاليا على الباب البخارجي،  
وحقق قلب دومني اضطراباً، وكانت قد وقفت عندما فتح  
الباب وأقبل بيكوس سيفاوس مسرعا، يتبعه باري  
سويسير .

الشرابي هذا..

وتريعت، مدركة أنه أعطاها شراباً قوياً لأن ليكوس كان على وشك أن يضيف ما هو أسوأ مما قاله، ووقف ليكوس ينظر إليها بوجه شاحب ومكتئب، وقال:

"ليس من المتوقع أن يعيش ابن حالي، الأطباء يعطونه بضع ساعات فقط وهكذا أنك لابد تريد أن تكومي إلى جانبه يا دومي".

وحملت في ليكوس داهلة، بول يقترب من الموت! شيء لا يصدق، واستطرد ليكوس يقول:

"ثم يكن من الصواب اخبارك سناً كهذا هتفياً، وكان باري معنا في البيت، فحسنا بالسيارة، كان الضباب المخفض سئاً، ولكن الرؤية الآن أكثر وضوحاً".

الضباب؟ وما أهميته؟ وقهرت دومي واقعة لمحت سبيس يهف فلما على عتبة الباب وكان واضح على وجهه أنه سمع ما قاله ليكوس عن بول، وبطل يهر رأسه وهو داهب ليحضر لها معطفاً ووشاحها، ذلك المعطف الجميل الذي ساعده باري على ارتدائه، ووقف يعلق أرزاره لها، ثم رفع يافته حول رأسها الذي يقفه بالوشاح الذي كانت قد شترته من ابلاكا... ابلاكا التي كتشفتها مع بول... بول... يموت

ووجدت نفسها مستغر في سيارة بجانب باري على المقعد الخلفي، ووقف يابيس وليتا على باب البيت الخارجي يراقبان في صعب كشمحين، بينما كان ليكوس أمام عجلة القيادة، يلف ليجه نحو الطريق المخفض، وكان رأس ليتا مدفوقاً يوشاح أسود، وعيناها دامعتين.

وظلت عينا دومي جافتين تماماً، ولكنها كانت تنتمر بهما اتبه بجمرتين في رأسها وأحست كأنها ظلت تثخبط وسط الضباب قسرة طويلة، ويدأب أخيراً ترى بوضوح:

عرف بول منذ شهور أن هذا المرض أصابه...

## ١٢ - بين الكرياء والحب

تقدم ليكوس بشعره الأسود المجدد من رطوبة الضباب، واتجه إلى دومي مباشرة، وأمسك بيديها، كانت يداها باردتين، مرتجعتين في يديه، وأدركت أن شيئاً مريعاً قد حدث، واستقلت عيناها إلى باري، كما لو كانت تستجد به، ثم قالت لليكوس:

"كارا وبول؟ أليس كذلك؟ هل قتلنا هي حادث سيارة؟"

وعض ليكوس شفته، بين يدي باري يديه بعف في جيبي سترته، وبدت عيناها دكتس وهما تلاقيان عيني دومي التي صاحبت وهي تفرس أظفارها في يدي ليكوس:

"أخبرني!"

"كارا بخير، أنه بول، مظلوم إلى المستشفى".

وتلاحقت أنفاس دومي تسأل:

"هل أصيب بسوء؟"

وألقي ليكوس نظرة إلى باري، ثم ساعد دومي على الجلوس وقال:

"لقد نفع بول مريضاً إلى المستشفى وحالته خطيرة".

ووضع باري يداً فوق كتفها، وباليدي الأخرى قرب خافة الكأس من شفيتها وهو يقول:

لويحات الصداغ كانت البدير . وكانت أيضا الدافع وراء بعض أقواله وتصرفاته .

بول كان يعرف منذ فترة أنه سيמות

وأحسنت دومني بيد باري تغلق هي دفء على يديها مواسية . بينما كان بيكوس يتقدم ببطء في الطريق، وسرك في الأمام يردات عدة، ثم أوشك على الوقوف عندما ضرب أعشاب في منحني شديد، وبذكرب دومني بنية سابقة كانت تجلس بجوار بول وهو يقود السيارة في هذه المنطقة، لقد شعرت وهتداك أنهما معقدان في النجوم، والآن لم تكن هناك نجوم، الضباب وحده وأشباح الأشجار .

وبعد فترة قال بيكوس أنه استطاع أن يلمح العمار الذي يقع في منتصف المسافة بين أنديلوس وجريرة مجاورة، وأن ذلك يعني أنهم يقتربون من الميناء، ومن المستشفى .

وخفق قلب دومني عيضا سريعا بتأثير التوتور النفسي، وبسعي . ومالت على كنف باري، مقدرة رقبة الصامتة، القوية، ما الذي كان يفكر فيه وقد جلس معها بيدها، أن القدر يلعب دوره، وأنه يجمعهما عنقاريين ثانية . . . والحياة لوشك أن تفارق الرجل الذي وقف بينهما ؟

وقطعت دومني نصيب وقد انقل رباط حلقها وقالت

"ما حدث يا باري؟ هل كنت في بيت العمه موفيولا عندما . . . عيها سقط بول مريضا ؟"

"كنت في الخارج هي برهة مخربة مع آل هاسهورن وبكسيس . . . وبدأ الضباب يتكاثف، وحينئذ عدنا إلى الميناء . . . وتناولت والكسيس كأسا من آل هاسهورن، ثم رفقتها حتى البيت لأن مكثف الضباب بدأ يرداء، ووصينا إلى البيت في لحظة كانت سيارة الإسعاف تنقل بول . وقد ذهبت كارا وعمته معه، وكان بيكوس في البيت فشرح لي ولالكسيس الموقف ."

وهمست دومني وهي تتصور حالة الفتاة التي كانت تحب بول كثيرا

"منكمه الصغيرة كارا، لا بد أنها صدمت صدمة شديدة"

وقال بيكوس وهو مدق النظر من خلال أصفاف الأمتار التي سركها مساحات السيارة خلفها

"ذهمت معه دون دموع، بدت وكأنها كبرت فجأة ."

لا دموع، لأن اليونانيين الذين يكون فرها، يواجهون الكوارث هي صمت والام يجرق قلوبهم، وفكرت دومني أنه من الأشياء الطيبة، أن كارا ستجد بيكوس بجانبها . واستغرقت رحلتهم إلى المستشفى وسط الضباب ساعيتين، ولكنهم أخيرا وصلوا إلى هذا المبنى وساعد بيكوس دومني في الخروج من السيارة . . . وبار الثلاثة إلى المداخل، حيث وجههم موظف الاستقبال نحو السسم المؤدي للطابق الذي يرفد السيد ستيهاموس في إحدى غرفه الخاصة .

وكان هو المعمر دهنا، وغرفة بول هي منتصف المسافة، وعندما اقتربوا من الباب، كانت ممرضة تخرج حاملة صبيبة هوها أدوب معطاة بغطاء أبيض - واتجه بيكوس إليها، وسألها إذا كان من الممكن أن تدخل راحة المريض لقراء . واستدارت الممرضة نحو دومني وقالت لها شيئا لكنها كانت تمكلم انيونانية، وكان على بيكوس أن يشرح لها أن السيدة ستيهاموس بكلمة، ثم أخبر دومني أن الأطباء حاسبا مع بول، وأن عليها أن تنضم إلى الأقارب الآخرين في غرفة الانتظار . وصات وحدوا كارا وعمتها، وهمرت كارا وهمرت نحو دومني، عيها أشبه يعيمي طبلي مطعون، ذاكتان وكسيرتان وهزيمتان، وهفتت بياس:

"أوه يادومني، ماذا سافعل بدون بول؟"

واحتضبت دومني الفتاة بقوة، ولكن لم يكن لديها اجبه لكارا، لم يكن لديها اجابة لنفسها .

وظلوا في الانتظار، لا يتحدثون كثيرا، بينما كانت ساعة الحائط تدق بانتظام وكثافة الضباب خلف مدرجينا، لسرك السماء واضحة بعض الشيء، وهي منتصف الليل أقبلت معرضة شابة تحمل صينية هاجس قهوة يبعث منها البخار، وأمسك دومني بنفسجان يديها تحاول أن تدهنهما، حينما انفتح الباب ثاميه، وظهرت المعرضة الأولى، وأشارت لدومني، وعندما قفرت كارا بدورها، قالت لها المعرضة بأسف انه عبر مسموح بغير السيدة ستيفانوس برؤيته في الوقت الحالي. وتماسك كارا ووجهها ينطق بالألم، وأحدث من دومني شجان القهوة، وقالت بصوت خنلق "دهبي اليه، انه حقك".

ولمعت دومني المعرضة الى غرفة بول، وعندما دخلت لم تلاحظ لأول وهلة الرجل الذي كان واقفا في ردهة الطيبي الأبيض بجانب البغدة، وسار دومني ببطء حتى البرير الأبيض، حيث كان بول راقد في سكون تام، وعياه مغمضتان، وقد ترك ألأم علاماته الواضحة على صفحة وجهه، وبرقة متباهية لمست دومني وجهه، وأحست بالاعظام اسامحة فيها، ولم يشعر بنعنتها، لأنه كان غافا الواعي. ولم تسمع الطبيب وهو يعبر الغرفة في اتجاهها، ولكنها أحست بوجوده، وندرت لتلتقي بعيني الدكتور ميروس سويرا الطبيين وهمس.

"يبدو من الخطأ ان يحسم بدكتور أن يكون بول هكذا، مغنوبا على أمره، ألا يمكن أن نفس شيئا؟ من سقف مكوفي الأيدي، وبتركه يموت؟"

وتفحصها بدكتور سويرا لحظة طويلة، ثم أمسك بيدها وقدها خارج الغرفة، التي دخلتها المعرضة في الحال، وأخذها غرفة لاستخبارات، وأعلى الباب صفهما بإحكام، وطلب منها أن تجلس، وأطاعها، وبظرب اليه من

هوق المكتبة، وسألت بألم

"ما هذا الذي يقلل روجي؟"

"قطعة صغيرة من المعدن، شظية قبلة يدوية انفجرت في وجهه عندما كان يحارب في حركة اسمرد".

"ولكن ذلك حدث منذ زمن بعيد، كيف استطع أن يعيش طوال تلك السنوات؟"

"هناك حالات أكثر خرابية يا عزيزتي، وهذا الجسم المعدني لم يكن يسبب له أي قلق على الإطلاق، ولكن عقب حادثه معينة منذ سنين بدأت المناعب، هل تعرفين أن بول كان له أخ؟"

"نوكاسي باب عرقا منذ عامين تقريبا، وكان بول هو الذي عاص في البحر ليحاول انقاده".

"بالمنطق، ولكنه بعدما خرج الى السطح، تعرض لحالة انغماء ورأينا أنه من الحكمة ان يبقى في المستشفى لمراقبة حالته، وهي بحر هذه الأيام أجرينا له اختبارات، واكتشفنا أنه أثناء حروجه الى السطح في حالة بغض الهواء، تحركت لشظية المعدنية تحت الضغط، واستقرت في مكان أكثر خطورة في المخ، وهذا ذلك الحين بادومني بدأ روجك يعيش في خطر".

ووضعت دومني يدها هوق خلفها المتألم وقالت "وهل أخبرته بذلك؟"

وبابتسامة يختلط الحزن فيها بالاعجاب، قال ميروس: "بول ستيفانوس ليس بالرجل الذي يمكن أن تخفي عنه الحقيقة انه مقاتل غذائي شجاع منذ السادسة عشرة من عمره، تحول الى رجل رائع بهرور سسواب، رجل شجاع، جريء، يحمل كثيرا من الاحترام بحقائق الحياة، ولا يمكن تضليله هاجمته موجات الصدم دعة واحدة، موجاب حادة كانت تستعصي أحيانا على الأدوية، ولكن ليس دائما".

وجلس دومني ساكنة للغاية، كانت تستعيد المرات



التي عاش بول خلالها وحيد داخل قوقعة الأمه، وأصبحت بحوه  
بحسب بالغ. وأصبحت بعضه هي حلقها، وهي تسأل فيما يشبه  
الصراخ

"ألا يمكن فعل شيء؟ بكل تأكيد يمكن، ستراع هذه المنظمة  
بمعدنية بالجراحة، وبول بعنك المهود، انه يستطيع أن يدفع  
بفقات أشهر جراح".

ومال ميتروس بحوها، وقال وقد عقد يديه  
"أو هلك تمام، توجد جراحة يمكن أن تنقذه، ويدونها  
سيتموت حتما كما لابد أن يأتي الصباح".

"ولكن إذا برع جراح خلال ساعات انقضية القادمة الشيء  
الذي يفتنه، فانه ما أن يموت، أو أن يعيش حياة أشد ظلمة  
من الموت".

وحدثت دومني في ميتروس، وقد هوى قلبها، وهمست  
"تعصده، يفقد بصره؟"

"بتأكيد، ونكسا لا يعرف ما ذا كان ذلك سيكون كليا أو  
جزئيا".

ومضى ميتروس من مكانه، وانكا على المكتب بجانب مقعد  
دومني. وقال

"توسلت إلى بول أن يوافق على جراح الجراحة، ولكنه استفسر  
دع من فكرة أن يصبح أعمى، وعينا على الناس الذين كان  
يرعاهم ويحميهم دائما، وفي مقدمتهم كارا الصغيرة، والآن  
أنت يا عزيزتي".

وهمست دومني تخاطب نفسها  
"أوه... لماذا لم يخبرني؟"

"لأنه رجل يكره الشفقة... ولكن بالنسبة إليه، الموت أهون  
من اعمى، ألم تلاحظي كيف يحب اليونانيون أن يخرجوا من  
بيوتهم منذ الصباح المبكر حتى الظلام تحت أشعة الشمس  
الوهجة؟ ألم تلاحظي كيف يضيئون بيوتهم بأنوار

ساطعة ليبعدوا ظلام الليل عنها؟ وبول كيوسني خثار أن  
يموت لا أن يعيش في الظلام".

وتشبعت دومني بطرف المكتب وهي تهول:

"ولكن يجب ألا يموت! ماذا يفعل بدونه، كارا وأنا، وكل  
أساس هنا في جزيرة، لدينا يحتاجون إليه كثيرا؟"  
وابتسم ميتروس قائلا في هدوء

"هل تحققت مما قلته الآن يا عزيزي؟"

وأومات برأسها، وقد اعتلات عيناها بالدموع، وهمست  
بحرقه

"يجب أن نحري له هذه العملية، أنا، أنا أستطيع أن أوقع  
على ذلك، ألا أستطيع يا دكتور سوير؟ اليس ذلك حق  
الروحة؟"

وذار ميتروس حول المكتب، ورفع سماعة التليفون، وقال  
وعينا تنظران في عينيها.

"بالطبع هذا حق، الروحة، ولكن هل عندك الشجاعة لمواجهة  
بول، وهو حي هائج بعد أسبوع من الآن؟"

وهمت، ورغمت رأسها عاليا، والتهمت عيناها الررفاوان  
ببريق شديد، وقالت بمسويات مرتفعة

"بستطيع أن يقتلني إذا شاء - أيس الأوراق التي سأوقعها  
يا دكتور؟"

قال وهو يدير رقبا:

"أولا سأتصل بأشما، كانت الابتهاالات صادقة، فانتشعت عا  
عمامة الضباب، دعينا الآن سنقول أن نجد الجراح الذي نحتاج  
إليه بلا ارتباطات ليأخذ أول طائرة قادمة إلينا".

وأهمست دومني عينيها، ودعت الله، بعدما كان ميتروس  
سويرا يتكلم في الهاتف باليومانية.

★ ★ ★

كانت أرض حديقة المستشفى مبللة بعدى صباح، وكانت  
العصافير تعرد على أغصانها، وأشعة الشمس مشرق فوق قمم  
الأشجار بلونها الذهبي بعد صباب يوم السابق، أحسب  
دومني وهي تنظر من نافذة غرفة، المستشفى التي نقاسمتها  
مع كارا، أن اليوم سيكون يوما رائعا.

وكانت كارا لا تزال نائمة، وقد عاد ميكوس بأمه إلى البيت  
منذ بضعة ساعات، كما ذهب باري بها، بعدما صعد على يد  
دومني في يده، مثلما فعل فيما مضى، في ذلك اسوم الذي  
هزرق فيه على الشاطئ الإسكليري، ولكن هذه المرة، كان  
كل منهما يعرف أنه فراق إلى الأبد.

ووضع دومني معطفا فوق كتفها، ومشى بحذر نحو  
بواب، لأنها لم تكن تريد رجاج كارا في نومها، وفتحت  
أبواب على مهل وخطت نحو الخارج، إلى ممر بارد، حيث  
كانت الحركة قد دبت، بغدو الممرسات ورواجهن. ونظرت  
كثيرات إليها كنهن كن مشغولات هم يقطن نيئا واتحدت هي  
طريقها إلى الدور الذي يقع فيه غرفة بول. وعندما وصلت  
أمام الباب ترددت، ثم هتحت وأطلب على الدخ، كان سريبر  
بول خاليا، والأعطية ملهدة على جانب، مارة مكانه خاويا  
تماما. لم تشعر دومني أبدا مثل هذه البرودة تسري في  
كيسها. احساس رهيب بالبرودة يستند بها وهي تنظر إلى  
الفراش الخالي، مكان رأس بول كانت لا تزال علامة فوق  
الوسادة، وساعة معصمه كانت على المصدة لمخاورة السرير.  
وأحسبت بالذنب تدور من حولها، وسمعت صوتا يقول لها  
تماسكي، ثم شعرت بيدي خرمتين تمسكان بها، وتجلساها  
فوق مقعد، وجلسد وهي ترتعش، بينما كان الدكتور سويرا  
يصب ماء متجا في كوب، ويقرمه من شفتها، ويقول:

"أيتها الطفلة الحمقاء... تعرضين نفسك لمرض هنا الدعر؟ كان  
يجب أن تتظري حتى آتني وأخبرك بأن بول أحد إلى

غرفة العمليات، فقد وصل الجراح منذ نصف ساعة".

وكان الماء باردا فوق شفتها، وجاء الخبر دافئ الأثر،  
وسألت

"كم ستفترق الجراحة؟"

"بضعة ساعات على ما أعتقد، اسمعي يا صغيرتي، لعادا لا  
تعودين إلى البيت، أن أجواء المستشفى ستضغط أكثر وأكثر  
على أعصابك خلال الساعات المقبلة".

"أفصل أن أبقي، أعد بأن أكون عاقلة، سأشرب أب وكار  
القهوة، وبعد ذلك سيجلس في الحديقة".

"بصفتي طبيبك كان يجب أن أمرك بالعودة إلى بيت،  
ولكنك تدور شك منكوس أشد اضطرابا وأنت تستظريين  
الأخبار، أجلسي في الحديقة، هالشبس أشرف، ونحو دافني،  
ولن يصيبك أنت ولاحت صغيرة أدنى هناك، وجلسد،  
وطرب إليه بعميم واسعين في وجهها الشاحب، وقالت:

"هل الجراح ماهر يا ميروس؟"

"واحد من أفضل جراحين، صلب مثل بول نفسه، وأمثل  
هؤلاء الرجال يصلون دائما إلى أهدافهم، ألا يطمعون ذلك؟"

وعطت على شفتها وهي تقول

"أنت مأكدة هذه المرة، ب بول بالتأكيد سيكرهني عندما  
ينتهي الأمر، ولكن كيف كان لي أن أتركه يهوت؟"

وأسرعت دومني عائدة إلى الغرفة التي تركب فيها كارا  
بائمه، حتى يخبرها بأن بول أصبح بين يدي الجراح، وأن  
الأمل معهود على أن يصبح بول نظره إلى جانب حياته ومر  
الوقت بطيئا، ثم فجأة لمح دومني إحدى ممرضات مقبلة  
في اتجاه حيث جلست فيه مع كارا، وبهتت، لمقابلتها،  
فأخبرتها أن سيد ستيفنوس خرج من غرفة العمليات،  
وأنها تستطيعان المجيء لالقاء نظرة عليه.

وأضاعت الممرضة، التي كانت تتكلم بيومانية مع

كارا التي قامت بمهجة الترجمة أن الجراح يرجو بعد ذلك أن يتكلم مع هدام ستيغابوس.

وخفق قلب دومني دعراء والتفت بعيني كارا في توسل. وسألت كارا الممرضة بيونانية سريعة، ثم قالت: "الممرضة تقول أنها مجرد شكليات".

ولكن أصابعهما رستت وهما هي طريقهما إلى الداخل.

### ١٣ - الحب ينتصر على الكبرياء

بدا بول، تأن العرصى دائما عقب عمدة طويلة ومهقة، كأنه لن يصحوا أبدا. وكان رأسه مغموا بانضمامات ابيضاء، وانقطع جبل الصمت في غرفة البقاة عندما تركت كارا أخير الممان لدموعها، وقالت وهي تشفق بعبراتها: "إن... هكذا لأعني سعيدة للغاية... سعيدة... سعيدة جدا لأن بول سيكون علي ما يرام".

وكان الجرح رجلا طويل انفة، أسود الحاجبين، ثقل الكتفين وقال لدومني بطريقته الصريحة الصارمة أن عليها أن تفهم أنه لا يمكن التأكد في هذه المرحلة ما إذا كان فقد بصر روحها سيكون كلياً أو جزئياً خلال امتزج الشظية، تعرضت الأعضاء البهرسة للتلف باختصار، يجب على السيدة ستيغابوس أن تعد نفسها للأسوأ، وأن تغمي الأفقس، وهي أحسن الأحوال، فإن بول سيخطئ بمر عينه اليسرى!

وأصرت العمة صوهيولا على أن تقضي دومني الأسبوع التالي في بينها، لأنه أقرب إلى المستشفى، كذلك ليس من مصلحة دومني أن تبقى وحيدة مع بفلو في ذلك البيت الكبير الخالي. ووافقت دومني على الاقتراح، لكن كان عليها أن تذهب إلى البيت لتحضّر بعض الملابس، ولأنها أيضا



أرادت أن تطمئن يانيس وليتا إلى أن بول سيكون بخير .

ووجدت البيت ساكناً للغاية، ولكن في الخارج كان الرجال في حركة دائبة على الشاطئ . بعضهم كان يرفع الأحجار من سرداب الكهف الذي لم يعد صالحاً للاستعمال، والبعض كان متغولاً بتركيب سلك كهربائي جديد لتشغيل مصعد يصل بين الشاطئ وأعلى القمة . كانت تلك فكرة بول، وكانت قد وضعت موضع التنفيذ منذ عدة أيام، وفكرت دومني أنها ستكون الآن مفيدة للغاية، لأن بول لن يتمكن من استعمال العمرات المتراكمة لمدة أسابيع، ربما حتى نهاية عمره، إذا لم تتحقق المعجزة التي كانت تدعو لها .

وكتبت رسالة لعمها قبل أن تنتقل إلى بيت العمّة صوفيولا وجلست أمام مكتب بول في غرفته الخاصة، واستعملت القلم المزخرف الذي كان ملكاً لجدّه . كان لديها الكثير لتخبر به العم مارتن، ولكنها لم تكن تريد أن تقلقه كثيراً، لذلك لم تذكر له شيئاً عن الطفل الذي فقدته، واستغرقت الرسالة صفحات عدة، وأراحها أنها أخرجت على الورق بعض ما كانت تعانيه من مشاعر القلق بشأن حالة بول .

وبدت لها فردان بعيدة . . . كبيت في حلم . . . حيث تجولت ولعبت ولم تكبر أبداً - مثل أليس في بلاد العجائب التي أعجبت بقصتها وهي صغيرة .

وجلست في هدوء على مكتب بول، ثم أمسكت بيدها ثقالة الورق النحاسية المصنوعة على شكل ذلك الحيوان الخرافي ذي القرنين . الهدية التي أعطتها لبول ذلك اليوم من شهر العسل في مدينة ليو يوم . . . غريب . . . وتذكرت كيف تمزقت أربا سعادة ليلة حبها السابقة قبل أن تتواري الشمس وراء الأفق . وأخذت باصبعها تتابع خطوط الثقالة الخارجية، رمز أكثر الأشياء مراوغة، كان ذلك ما قاله بول، رمز السعادة، نسيج الأحلام . . . ونهضت تخرج من الغرفة وقد حملت معها

الثقالة مثل غنيمة .

وكانت ليتا قد حرّمت حقبة لدومني، وحملتها إلى الباب . وكان الباب مفتوحاً، وقد وقفت على السلالم مجموعة من الناس خلف عيون قلقة، ومتهلّفة لسماع دومني تؤكد بنفسها أن زوجها سيشفى من مرضه وسيعود قوياً من جديد . وكانوا جميعاً يحملون هدايا من الفاكهة والأزهار لتأخذها دومني معها . وحينما امتلأت ذراعا دومني بالأزهار، لم تستطع أن تتكلم، لأن طوق التآثر أحكم الخلقه حول حنجرتها، وتجمعت الدموع في عينيها، وتماثلت فوق باقات الورد الجيلة ذات الرائحة الزكية، حينما دفنت فيها وجهها، ثم ركضت نحو السيارة .

وكانت الأيام القليلة التالية أخف وطأة على دومني لأن كارا راغقتها، ونيكوس عندما يعود إلى البيت من العمل . لقد بدا جادا وناضجا منذ وجد نفسه مسؤولاً تماماً عن المكتب . وتنهدت العمّة صوفيولا قائلة وهي تظفر .

أصبح ابني رجلاً . . . يخيل إلي أنني منذ يوم أو أكثر، كنت ما أزال أحمله طفلاً بين ذراعي . . . أه . . . ولكن سامحيني يا دومني . . . ما كان يجب أن أحدثك عن الأطفال الآن، وإن كنت لا أشك في أنك ستترقبين بأخريين مع تحسن حالة بول بعد العملية، أنه لن يلبث طويلاً يا صغيرتي حتى يعود إلى بيته .

وظلت دومني تتشغل بالعجلة التي كانت تتصفحها، ذلك أن أحاديثها مع بول بجانب سريريه، لم تكن تتضمن أية إشارة للمستقبل، وكانت كارا تذهب دائماً معها خلال زياراتها له، وكلما كانت تلمح برغبتها في تركهما على انفراد لحديث خاص، كانت دومني تصاب بالهلع، وكانت دائماً تفرح عندها ترى اهتمام بول وهو يأمر أخته أن تبقى حيث هي . وكانت كارا، وهي تبدو أشبه بجنية في الثوب الأخضر،



أفضل ثيابها، تعود إلى الانكماش ثانية بجانبه على السرير، وهي تنقل بينه وبين دومني نظرات حائرة.

وقد لاحظت دومني هذه النظرات، وأن تظاهرت بغير ذلك. كانت بمرور الأيام تحاول أن تبدو عادية التصرفات قدر الامكان، وكانت الأريطة حول رأس بول تقل يوما عن يوم، وعن قريب كانت الضمادات سترقع عن عينيه، وعن قريب كانت ستعرف إذا ما كان سيرى قليلا، لم لن يرى على الإطلاق.

وكانت دومني قد ارتدت ثيابها استعدادا للذهاب إلى المستشفى عصر يوم الجمعة، عندما اكتشفت عدم وجود كارا في أي مكان في البيت، ولم تستطع العمة صوفيولا أن تعرف مكانها، لكنها أضافت أن دومني ليست مضطرة إلى انتظارها، لأنها تضيع دقائق ثمينة من ساعة الزيارة المحددة.

وقالت دومني وقد تقلصت أصابعها فوق الحقيبة التي تحمل فيها الفاكهة لبول:

"ألا تأتين معي يا عمتي صوفيولا؟"

وربتت العمة على ذراعها وقالت:

"يا طفلتي العزيزة، هذه فرصة ذهبية لك لتفرد بي بول. ما كان يجب أن تأخذي كارا معك كل مرة، أنا على ثقة بأنها تحتكر كل الحديث، يالها من فتاة شرارة! إنها أحيانا توجع رأسي العجوز".

"ولكن بول يستمتع بالصحبة، من فضلك تعالي".

وحينئذ نظرت إليها العمة صوفيولا بدعاء وقالت لها بصراحة:

"هل أنت خائفة من الانفراد ببول؟ هل تخشين أن يلومك، إذا اكتشف بعد رفع الضمادات أنه أعمى؟"  
وأجابت دومني برنة ألم:

"عمتي صوفيولا... انك قاسية القلب..."  
قالت العجوز بجفاء:

"إن هذا يجري في دماء الأسرة".

وظلت واقفة أمام الباب حتى ركبت دومني السيارة القديمة ولوحت لها والسائق ينطلق بها. وعرف بول في الحال أنها جاءت بمفردها، وكانت تتكلم بعصبية طول الوقت وهي تخرج ثمار العنب والقوخ من الحقيبة، وترتبها في طبق على المنضدة الملاصقة لسريره. وكانت أوراق الورد التي أحضرتها في اليوم السابق تناثرت على الأرض، فأنحلت تلتقطها، وتجمعها في يدها مختلطة نظرة نحوه، لتري أنه كان غير مرتاح في جلسته والوسائد خلف ظهره، وبدا غائبا تحت أنفه الشامخ المتعرج.

وقالت دومني:

"أعرف أنك تحب أن ترى كارا، ولكن..."

وهنا قطعت كلامها، ولكن بعد فوات أوان التنبيه إلى الفاظها وتلعثمت ثم استطردت تقول:

"هل... هل تحب أن تأكل خوفا؟ سأقتصر لك واحدة".

وبهدوء قال:

"دومني، يوجد شيء أريده".

ووقفت في لهفة بجانب سريره متسائلة:

"ما هو يا بول؟ أخبرني من فضلك".

وأدار رأسه وبدا كما لو كان ينظر إليها مباشرة من خلال

الضمادات وقال:

"أريد أن تشتري تذكرة طائرة، وأن تعودني إلى انكلترا".

وحدقت فيه غير مصدقة، وهتفت:

"ماذا؟"

ووضع يديه وراء رأسه وقال:

"لقد سمعني".



ولم ترفع بصرها عنه، كانت الشمس تلقي أشعتها من خلال النافذة على سرير، في خطوط أشبه بجلد النمر، وشعاع ذهبي منها استقر على عنقه الأسمر، حيث كانت ستره البيجامة مفتوحة... ولمحت دومني حركة حنجرتة وهو يبتلع وانفجرت قائلة:

"إذا كنت تعتقد أنني سأشتري هذه التذكرة، فأنت مخطيء للغاية، سأبقى هنا..."

قال بجفاً:

"سيخرجونك من هنا بعد خمسين دقيقة..."

ومالت فوقه، واستندت بيدها على السرير، وقالت:

"كان من الضروري أن أوقع الأوراق..."

"تقصدين... أنهم أرغموك؟"

"كلا... فعلتها بنفسى من أجلك يا حبيبى..."

"ماذا دعوتنى؟"

ومن جديد أحست كأنه يتأملها من خلال الضمادات، وبدأ فمه متردداً، مسترخياً بعد توتر اللحظة التي مرت...

واندفعت دومني كالعاصفة نقول:

"دعوتك من قبل الطاغية اليونانى! والآن تقول لي أن أذهب إلى الكلترا؟ هل تعتقد أنني أذهب وأنت في هذه الحالة؟ من حقى معرفة ما إذا كانت عينك اليسرى سليمة كما هو حقك؟"

"منذ متى؟"

"منذ أن دخلت حياتى، وجعلتني زوجتك..."

وبحث بيده... فوضعت يدها فيها، وأغلق أصابعه بإحكام على أصابعها، وسأل:

"هل أنت أسفة على؟"

"أسفة عليك؟ اننى أسفة على نفسى، لأن على أن أحملك لمدة الخمسين عاماً المقبلة، أيها الطاغية، يالها من حياة..."

"أنا لا أسألك أن تبقى..."

"أنت لم تسألنى أن أحبك، أخبرتنى أن احتفظ بالحب، سوف احتفظ به لنفسي إذا كان لا يزال ذلك ما تريد يا بول، ولكنك لفترة سوف تحتاج إلى... وأنا في خدمتك!"

ثم أطلقت شهقة عالية عندما عادت أصابعه تسحق أصابعها من جديد، ورفع يدها إلى فمه وقال:

"يا لأنوثتك وأنت تهددين وتبكين في الوقت نفسه..."

"أنا... أنا لا..."

"كنت أننى؟"

"لا... لا أبكى..."

وسقطت فوق السرير، ودفنت وجهها في كتفه، وتركت العنان أخيراً لدموعها المختزنة، وأسند رأسه على صدرها، وداعبت شعره بأصابعها وهي تقول:

"الدكتور سويزا متفائل جداً... كلنا متفائلون... وأنت؟"

"هل أستحق أن أكون؟ لقد انتزعتك من كل ما كان عزيزاً عليك، وخذعتك تلك الليلة الأولى، وحطمت قلبك بفقد الطفل..."

وعانقته وقالت بنعومة:

"لا تتكلم بعبارات كهذه يا بول فاني أحبك، جعلتني أحبك منذ فترة طويلة، ولكن الكبرياء كان دائماً رذيلتي، ولم أستطع أن أعترف بهذا الحب لنفسي فكيف كنت أستطيع أن أعترف به لك؟ أوه يا بول عندما أخبروني أنك تموت، أردت أن أموت معك، وحينما قال الدكتور سويزا أن هناك فرصة ولو

فرصة عمياء... كان لابد لي أن أدعك تنالها يا حبيبى..."

وتحسست رقبتة، وكتفيه، وشعرت بعظامها تتفتت عندما احتواها بين ذراعيه بطريقته القديمة، وانطلق يهمس بصوت متهدج:

"ضقت ذرعاً بهذا المستشفى، يجب أن ينزعوا هذه الأربطة سريعاً، أريد يادومني أن أعود معك إلى البيت..."

وضمها أكثر وقال هامساً:

"الشمس والقمر والنجوم مظلمة الآن يادومني، ماذا لو ظلت هكذا بالنسبة الي؟"  
 "ان شخصين يستطيعان الرؤية عبر الجبال والمحيطات يابول، اذا كانا معا، وكل منهما بحاجة الى الآخر."  
 "تبدو الان يا حبيبي انعم ملمساً، كنت تبدو قبيحاً بعد العملية."  
 "هل أرهبتك؟"  
 "وهل مضى أبداً وقت لم ترهيني فيه؟"

\* \* \*

وعادا الى البيت بعد أيام قليلة، حيث وقف بول في الشرفة، وقد لف ذراعاً حول خصر دومني، ورأى من جديد زرقة البحر الأيوني العميقة منعكسة في عينيها اللتين رفعتهما نحو وجهه في حب. ولم يكن ملحوظاً أن بول فقد بصر عينه اليمنى كلية، ولكن الرؤية في العين اليسرى كانت تستند يوماً بعد يوم.  
 وشردت أفكار دومني، العينان اللتان تشبهان عيني الذمرد... وازدادت التصاقاً ببول... أحست أنها تحبه كثيراً... العزيز المسيطر، الذي واجه رصاص البنادق والقنابل في السادسة عشرة، والذي سيرث منه أبناءه الشجاعة والجرأة.  
 وقال بول:

"سنعيش حياة طيبة معا يادومني، الان سيكون خائفاً كذلك اليوم الذي كنا فيه معا في كورنويل، هل تذكرين التقالة الخامسة؟"  
 وأومات في سعادة وقالت:  
 "كانت في حقيبة يدي كل يوم ذهبت فيه لزيارتك

في المستشفى، هذا الحيوان الخرافي جلب لنا الحظ والسعادة يابول."  
 أضاف وهو يضعها أكثر، وبلا نهاية:  
 "وأنت جلبت لي الحب."  
 ولم يتركها حتى أقبل يانيس مبتسماً ليخبرهما أن الشاي في انتظارهما."